الأناجيل الأربعة
مصادرها وتاريخها
The four Gospels
Sources and History

obeikandl.com

الأناجيل الأربعة

لم يأت ذِكْرٌ للأناجيل Gospels فى الكتابات والنصوص التى تنحدر إلينا من المراحل الأولى للمسيحية حتى مرَّ وقت طويل على النصوص التى كان قد كتبها بولس Paul . ولقد بدأ ظهور مجموعات من الكتابات الإنجيلية Evangelic Writings فى منتصف القرن الثانى الميلادى وبالتحديد بعد عام ١٤٠م. وبالرغم من ذلك نجد أنه «اعتبارا من بداية القرن الثانى الميلادى يصرون بوضوح على أنهم يعرفون عددا كبيرا من رسائل بولس» إن مثل هذه الملاحظات شائعة الوجود وتعرضها لنا بوضوح «مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد Ecumenical Translation of the Bible, New Testament التى صدرت فى عام ١٩٧٢ . إن هذا الاعتبار جدير بالذكر ها هنا، ومن الجدير بالذكر أيضا أن نشير إلى أن هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد هى نتيجة عملٍ جماعى تضافرت عليه جهود أكثر من مائة متخصص من علماء اللاهوت الكاثوليك والبروتستانت . والأناجيل التى أصبحت رسمية فيما بعد تعترف بها الكنيسة ولا تعترف بما سواها لم تُعْرفْ إلا فى عصر متأخر على الرغم من أنها كتبت فى بداية القرن الثانى الميلادى . ووفقا لما أوردته مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل فقد بدأ ذكْر الروايات المتعلقة بهذه الأناجيل فى منتصف القرن الثانى . ولكننا نطالع فى مقدمة الترجمة المسكونية للأناجيل أنه «يكاد يكون عسيرا التأكد مِمَّا إذا كانت نصوص هذه الأناجيل The texts قد تقررت بناء على نصوص مكتوبة Writ-ten texts مأثورة عن أصحاب ومؤلفى هذه الأناجيل المنسوب إلى كل منهم تأليفها ، أم أنها تعتمد على تراث شفهى اعتمادا على الذاكرة والروايات الشفهية المتداولة» .

ونقرأ أيضا فى مقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل : «قبل عام ١٤٠ بعد الميلاد ، لم يكن هنالك بأى حال ما يدل على وجود كتابات للأناجيل تحريرية» وهذا الإفادة الموجودة بمقدمة الطبعة المسكونية للأناجيل تتناقض تماما مع ما يقرره أ . تريكو A. Tricot عندما كتب فى مقدمة ترجمته للعهد الجديد ما نصه كما يلى :«ومنذ وقت مبكر من القرن الثانى الميلادى أصبح من المعتاد أن تقال كلمة «الإنجيل Gospel » للإشارة إلى الكتب التى كان يسميها القديس جوستين «مذكرات الرسل» فى عام ١٥٠م» .ومما يؤسف له أن مثل الزعم الذى يزعمه «أ . تريكو» يتكرر كثيرا وتتم إشاعته بين جمهور المسيحيين بحيث يصبح عامة الجمهور لا يعرفون إلا مثل هذه المعلومات الخاطئة[١] عن تاريخ كتابة الأناجيل .

---

(١) هذا التناقض واضح غاية الوضوح . يزعمون أن الأناجيل قد تم تحريرها بدقة تامة . وعندما يواجهون بالأخطاء والتناقضات الصارخة يقولون : وماذا نفعل ؟ لم تكن الكتابة معروفة على نطاق واسع بين الناس فى عصر المسيح . ولم تكن علامات الترقيم معروفة ولم يكن الصفر الحسابى موجودا . وكان الاعتماد على التواتر الشفهى ؟ لماذا يزعمون الدقة إذن ؟ (المترجم) .

حقيقة الأمر هى أن الأناجيل لم تتشكل بصورتها ونصوصها الراهنة فى زمن مبكر بدرجة كافية "very early on" إنها لم تكتمل إلا بعد أكثر من قرن من تاريخ انتهاء شأن المسيح مع قومه "The Gospels did not fom a complete whole "very early on" . it did not happen until more . than a century after the end of Jesus's mission"

إن مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد تحدد تاريخ ظهور الأناجيل الأربعة واكتسابها مكانتها كأناجيل معتمدة بتاريخ محدد هو العام ١٧٠ بعد الميلاد .

ودعوى القديس چوستين بأن مؤلفى الأناجيل إنما هم «رُسُل Apostles" يستحيل[١] القبول بها أيضا كما سيتضح فيما بعد خلال دراستنا هذه .

وفيما يتعلق بشأن تحرير كل إنجيل على حدة نجد أن «أ . تريكو» يعطينا تحديدات غير دقيقة بالمرة . إنه يؤكد دون دليل على أن أناجيل متّى ومرقس ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠م . وليس هذا مقبولا ، وربما باستثناء إنجيل مرقس وهو يحاول ،و شأنه فى ذلك شأن آخرين ، أن يزعم أن محررى الأناجيل إنما هم رسل Apostles أو رفاق للمسيح ، وهو لهذا السبب يتهافت على أن يقدم تاريخ تحرير الأناجيل ليجعلها تقترب من الفترة التى كان يعيش فيها المسيح . أما فيما يتعلق بشأن يوحنا[٢] John فهو يحاول أن يجعله يعيش حتى عم ١٠٠م . لقد اعتاد المسيحيون بالفعل على تصوره بصورة شديدة القرب والملاصقة للمسيح ، ولكن من العسير حقا التأكد من أنه هو كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه . وبالرغم من ذلك يعتبره «أ . تريكو» شاهدا كفئا معترفا به وبصحة كل الأمور والكتابات المنسوبة إليه . وعلى حين لا يتمسك غالبية علماء اللاهوت المسيحى بصحة الرأى القائل بأن يوحنا بن زبدى هو الذى كتب الإنجيل الرابع ، يصر «أ . تريكو» على أن يوحنا بن زبدى هو كاتب الإنجيل الرابع الذى ينسبه العامة إليه .

وإذا كان من العسير اعتبار هذه الأناجيل الأربعة كمذكرات لرسل أو رفاق المسيح ، فما هو أصلها إذن ؟

يقول : «أ. كولمان O.Culmann» فى كتابه المعنون بعنوان «العهد الجديد The New Testament" الصادر عن دار نشر Presses Universitaire de France فى باريس عام ١٩٦٧ : «إن المبشرين

---

(١) شرط النبوة أو الرسالة هوأن يكون الوحى الصادر إلى النبى أو الرسول صادرا«من الله» «والى النبى أو الرسول» بشأن الدين شريعة وعقيدة. هل ينطبق هذا الشرط على مؤلفى الأناجيل؟(المترجم).

(٢)- يحظى شأن يوحنا ، صاحب الإنجيل الرابع بأكثر العجب والغرابة : يزعمون أنه يوحنا بن زبدى ، صياد السمك الذى قال له المسيح :«اتبعنى» وكان من الحواريين . ومن المعروف أن الإنجيل الرابع المنسوب إليه قد تم تحريره بعد أكثر من مائة عام من نهاية شأن المسيح مع قومه . هل عاش يوحنا أكثر من مائة عام بعد انتهاء شأن المسيح مع قومه ؟ كان يوحنا رجلا بالغا عندما قال له المسيح : «اتبعنى» ومتى تعلم يوحنا اللغة اليونانية وهو صياد سمك أمى لا يعرف الكتابة؟ إن أول جملة من إنجيل يوحنا التى تقول :«فى البدء كان الكلمة.....» تقطع بأن هذا الإنجيل يستحيل نسبته إلى يوحنا بن زبدى الذى يستحيل أن يستخدم هذا الاصطلاح الفلسفى . (المترجم) .

أصحاب الأناجيل لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعات المسيحية الأولى ، وصلت إلينا أقوالهم من خلال التراث الشفهى oral tradition ولقد ظل الإنجيل طيلة ثلاث وأربعين سنة فى صورته الشفهية فقط على وجه التقريب . ولكن هذا التراث الشفهى قد تضمن فى غضونه أيضا أقوالا مختلفة ، وروايات متعارضة منعزلة . ولقد نسج المبشرون أصحاب الأناجيل – كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة – الروابط بين هذه الروايات والأقوال التى تلقوها من التراث السائد . إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات فى صياغات غامضة تستخدم عبارات مثل : «وبعد هذا...» ، «ويظنُّ...» و«بالاختصار ...» ووضعت هذه الروايات فى إطار أطلقوا عليه الأناجيل المتوافقة Evangiles Synoptiques ويدل كل شىء فى هذه الطريقة على أنها أدبية الطابع وليست تأريخية الطابع» .

ويستطرد «أ . كولمان» ليقول :«ومن الضرورى أن نلاحظ أن متطلبات التبشير والتعليم والنشاط الدينى هى التى دعت الجماعة الأولى من المسيحيين إلى محاولة تثبيت هذا التراث عن المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حقائق حياة المسيح[1] . إن المبشرين أصحاب الأناجيل كانوا يطنبون فى شرح حقائق الإيمان الذى يروق لهم ويؤيدون شروحهم بذكر أحداث وأقوال عن المسيح . إن مواعظهم ومعتقداتهم هى التى خلقت هذه الروايات ، ولقد اعتمدت الكنيسة بشكل خاص على تلك الأقوال المأثورة عن المسيح ، كما تواترت على هذا النحو» .

وهذا بالضبط هو الوصف الذى يصف به محررو مقدمة الطبعة المسكونية من الأناجيل حيث يقررون فيها أن «التراث الشفهى قد تشكل بتأثير تبشير تلاميذ المسيح وحوارييه بالإضافة إلى جهود غيرهم فى هذا الصدد . وظلت مادة هذا التبشير متداولة فى التراث الشفهى حتى استقرت فى الأناجيل لتتجسد فى شكل مكتوب لبعض عناصر الإيمان ولبعض أقوال المسيح ولبعض الحكايات عن آلام المسيح ، واستعان أصحاب الأناجيل بهذه المادة المكتوبة كما استعانوا أيضا بالتراث الشفهى حتى يكتبوا نصوصا تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتشكل الكتاب المقدس ليصحح الأخطاء ويرد على حجج الخصوم . وهكذا جمع أصحاب الأناجيل مادة أناجيلهم وكتبوها ، كل بحسب وجهة نظره وبحسب ما توافر لكل منهم من الأقوال المأثورة عن المسيح فى التراث الشفهى» .

إن هذا الرأى الذى يحظى بإجماع أكثر من مائة من مفسرى العهد الجديد من الكاثوليك والبروتستانت يختلف بشكل واضح عن الرأى الذى اتخذه المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان فى دستوره العقائدى عن الكتاب المقدس ، وهو الرأى الذى تمت صياغته فيما بين سنة ١٩٦٢ وسنة ١٩٦٥ . ولقد سبق أن أشرنا إلى رأى هذا المجمع الفاتيكانى فيما يتعلق بشأن العهد القديم أو التوراة . لقد استطاع هذا المجمع الفاتيكانى أن يعلن أن أسفار العهد القديم «تحتوى على شوائب» .

(١) معنى ذلك بوضوح أنهم كتبوا حياة المسيح كما يهوون ، وليس كما كانت فى حقيقة الأمر ، إنه المسيح وفق أهوائهم. (المترجم) .

"Contain material which is imperfect and obsolete" ولكنه فيما يتعلق بشأن أناجيل العهد الجديد لم يتخذ المجمع الفاتيكانى مثل هذا الموقف ولم يبد مثل هذه الملاحظة ، وعلى العكس من ذلك نقرأ فى تقرير المجمع الفاتيكانى ما يلى :

«ولا يخفى على أى إنسان حقيقة أنه من بين كل النصوص المقدسة بما فى ذلك نصوص العهد الجديد ، تحظى الأناجيل الأربعة بمرتبة رفيعة من السمو والتميز ، وذلك بفضل أنها تتضمن شهادة حقيقية عن حياة وتعاليم الكلمة التى تجسدت The Incarnate Word مخلصنا . وفى كل زمان ، وفى كل مكان حافظت الكنيسة ولا تزال تحافظ على الأصول الرسولية The Apostolic origin للأناجيل الأربعة . إن ما بَشَّرَ به الرسل بالفعل بأوامر من المسيح On Christ's orders أو ذلك الذى بَشَّرَ به أتباعهم الآخرون بتوجيه من الوحى الإلهى للروح القدس فى الكتابات تعتبر أساس الإيمان ، ونعنى بذلك الأناجيل الأربعة وِفْقًا لرواية متّى ، ووفقا لرواية مرقس ، ووفقا لرواية لوقا ، ووفقا لرواية يوحنا .

إن كنيستنا ، أمُّنا المقدسة قد أعلنت وهى لا تزال تعلن بكل حزم وثبات دائم لا يفتر أن هذه الأناجيل الأربعة هى الأناجيل التى تأكد صدقها على مدار التاريخ وهى تنقل بشكل أمين فعلا أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لتحقيق خلاصهم الأبدى إلى أن رُفِعَ إلى السماء . إن أصحاب الأناجيل الأربعة القديسين قد ألّفوا الأناجيل الأربعة بطريقة تسمح دائما أن تعطينا معلومات صادقة وصريحة True and frank عن حياة المسيح» .

هذا تأكيد واضح لأمانة نَقْلِ الأناجيل الأربعة لصورة صحيحة صادقة عن أعمال وأقوال المسيح.

ولا يوجد أى اتساق أو وفاق على الإطلاق بين رأى المجمع الفاتيكانى المشار إليه وبين آراء كثير من الباحثين الذين سبق لنا أن عرضنا آراءهم فى هذا الصدد، ومنها تلك الآراء التى تقول :

«إن الأناجيل لا يجب أن نأخذ بحرفية نصوصها» ، «إنها كتابات تمت فى ظروف خاصة» ، «إنها كتابات أفرزتها الخصومات بين جماعات دينية متعارضة المعتقدات» ، «إن مؤلفى الأناجيل قد كتبوا ، كلٌ على طريقته ، التراث الشفهى عن المسيح من وجهة نظره» . تتعارض هذه الآراء كما وردت بالترجمة المسكونية للعهد الجديد مع تقرير المؤتمر الثانى للفاتيكان .

ومن الواضح جدا أن هذه الآراء المتعارضة مع رأى المؤتمر الثانى للفاتيكان تضعنا وجها لوجه أمام دعاوى متعارضة ومتناقضة ، لا يمكن أبدا التوفيق بين آراء مؤتمر الفاتيكان الثانى الذى يذهب إلى أنه يوجد بالأناجيل نقل أمين صادق لأفعال وأقوال المسيح وبين وجود تناقضات فعلية فى هذه الأقوال حسب النصوص الموجودة بالأناجيل مع وجود أمور غير معقولة ولا مقبولة تبلغ حد الاستحالة ووجود دعاوى وافتراضات متناقضة لحقائق العلم الحديث فرغ الناس من التحقق من صحة وجهة نظر العلم الحديث بشأنها .

وإذا كان الرأى الذى تضمنه تقرير المؤتمر الثانى للفاتيكان لا اتساق فيه ولا اتساق له مع حقائق العلم الحديث نجد أن الآراء المعارضة له تحظى بالاتساق وهى أولى وأحق بالقبول ، وهى الآراء التى تعتبر نصوص الأناجيل مجرد تعبير عن وجهات نظر شخصية كتبها كتابها نقلا عن التراث الشفهى لدى مختلف الجماعات ، ولو نظرنا إليها باعتبار أنها كتابات نتجت عن ظروف معينة فى خصومات عقائدية بين جماعات متخاصمة متعادية ، فعندئذ لا ينبغى أن يدهش أحد عندما يجد فى الأناجيل كل هذه التناقضات والعيوب التى هى علامة واضحة على تدخل الإنسان[١] فى صياغة الكلام الموجود فى الأناجيل . ربما كان كُتّاب وجامعو هذه النصوص فى أى واحد من الأناجيل مخلصين تماما ويسردون أمورا وأحداثا وأقوالا لا يشكون هم أنفسهم فى صحتها عندما يقدمون لنا وصفا لهذه الأمور والأحداث والأقوال مناقضة لوصف رواة وكتاب أناجيل أخرى لا يشك أصحابها هم أيضا فى صدقها عن حياة المسيح وأفعاله وأقواله .

ولقد سبق لنا أن رأينا كيف أن السياق التاريخى المتعلق بشأن تدوين نصوص الأناجيل يتسق تمام الاتساق مع الرأى المناقض لرأى المؤتمر الفاتيكانى الثانى ويدحضه دحضا تاما .

الإنجيل وفقًا لرواية مَتّى
The Gospel According to Matthew

يحتلُّ إنجيل مَتّى المكانة الأولى من حيث ترتيب الأناجيل بالعهد الجديد The New Testament . وهذا الوضع الذى يجعل إنجيل متى يتصدر أناجيل العهد الجديد مرجعه إلى أن إنجيل متّى يعتبر امتدادا للعهد القديم كما يفترض ذلك المفترضون الذين يفترضون أن هذا الإنجيل قد كتب بهدف إثبات أن المسيح إنما هو جزء لا يتجزأ من تاريخ بنى إسرائيل ولم يكن تاريخ بنى إسرائيل ليكتمل إلا به . "Jesus Fulfilled the history of Israel"

وهذا التعبير قد سجلته مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد التى سبق أن أشرنا إليها وسنستعير منها فقرات كثيرة . ولكى يحقق متّى هذا الغرض نجده يستشهد كثيرا بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح كان يتصرف كالمسيح[٢] الذى كان ينتظره اليهود .

---

(١) عندما يكون الكلام هو كلام الله وحده لا شريك له فى كتاب مقدس فلا مجال لوجود خطأ أو أى تناقض داخلى أو تناقض مع الحقائق أيا كانت . أما عندما يكون الكلام كلام بشر فإن باب الأخطاء يكون مفتوحا على مصراعيه . (المترجم) .

(٢) لم يعترف معظم اليهود من بنى إسرائيل المعاصرين للمسيح عيس ابن مريم أنه هو المسيح الذى كانوا ينتظرونه . إن المسيح الذى كان ينتظره اليهود له مواصفات خاصة فى أذهان اليهود المعاصرين للمسيح عليه السلام . إن التوراة تخبرهم أن نبيا سيأتى بعد موسى يعطيه الله الشريعة الكاملة .(سفر التثنية ١٨ :١٨) . وبناء على هذا النص الموجود حتى الآن بسفر التثنية سأل اليهود المعاصرون للمسيح المسيح سؤالا مباشرا عما إذا كان هو المسيح كما يطلعنا على ذلك إنجيل يوحنا احتاط به نفر من اليهود وهو يتمشى برواق سليمان بالهيكل وقالوا له :«إلى متى تعلق أنفسنا . إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرا»أى صراحة «أجابهم يسوع إنى قلت لكم ولستم تؤمنون . الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى ، ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم خرافى .» (إنجيل يوحنا ١٠ :٢٤-٢٦) سألوه : هل أنت المسيح ؟ولم يقل لهم : «نعم أنا المسيح» ولم يقل لهم :«لا ، أنا لست المسيح» . يبدو السؤال=

ويبدأ إنجيل مَتّى بما يسمى «شجرة نسب المسيح Genealogy of Jesus" وهو يجعل المسيح متصل النسب بسيدنا إبراهيم عن فرع سيدنا داود . وسنرى فيما يلى الخطأ فى هذا النص المتعلق بنسب المسيح فى إنجيل مَتّى وهو الخطأ الذى يلوذ مفسرو الكتاب المقدس بالصمت التام إزاءه . ومهما يكن الأمر ، فلقد كان هدف مَتّى الواضح هو ربط نسب المسيح بهذه السلسلة من الأنساب ليربط تاريخ المسيح بتاريخ أبناء بنى إسرائيل . ومؤلف هذا الإنجيل يستطرد فى ملازمة هذا الخط إذ يدأب على إبراز موقف المسيح من الشرائع اليهودية فى مبادئها الأساسية كالصلاة والصوم والزكاة .

إن المسيح كما يقدمه لنا إنجيل مَتّى يريد أن يوجه تعاليمه أولا وقبل كل شىء إلى قومه من بنى إسرائيل اليهود ، وهو يحدد رسالته بأقوال مثل : «إلى طريق الوثنيين لا تمضوا . وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (إنجيل مَتّى ١٠ :٥-٦) . وكان المسيح أيضا يقول : «ولم أرسَلْ إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة» (إنجيل متّى ١٥ :٢٤) .

وفى موضع آخر هو نهاية إنجيل مَتّى لا يقصر متى تعاليم المسيح على خراف بنى إسرائيل الضالة بل يوسع نطاق رسالة المسيح لكى يحملها الحواريون إلى كل أنحاء العالم إلى كل الأمم . إنه يجعل المسيح يصدر هذا الأمر إلى الحواريين : «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» . (إنجيل مَتّى ٢٨ :١٩) ويحاول مفسرو الإنجيل التغلب على هذا التناقض المتمثل فى تصريح المسيح أنه لم يرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة وفى إصداره الأمر لتلاميذه وحوارييه أن يتلمذوا جميع الأمم بقولهم :«ولكن التوجه الرئيسى يلزم أن يكون إلى بيت إسرائيل» . "The primary destination must be to the house of Israel" .

ويقول : «أ . تريكو» عن إنجيل مَتّى : «تحت العباءة اليونانية لهذا الإنجيل يظل هذا الإنجيل يهوديا لحما وعظما وروحا . إنه يحمل خصائص الديانة اليهودية ويتسم بسماتها المميزة» .

هذه هى الاعتبارات التى تجعلنا نضع نصوص إنجيل مَتّى فى موضعها داخل الجماعة «اليهودية - المسيحية» التى كانت تحاول - على حد تعبير «أ . كولمان» - أن «تقطع العلاقات التى كانت تربطها باليهودية مع الاحتفاظ فى نفس الوقت بالاتساق المستمر مع نصوص التوراة ، وهذا هو السبب فى أن النبرة العامة لهذا الإنجيل توحى بوجود وضع متوتر» .

وربما كان هذا النص الأخير الذى اختتم به مَتّى الإنجيل المنسوب إليه بضرورة أن يتلمذ

= بسيطا فى ظاهره ، ولكنه سؤال ماكر وخبيث وخطير . كان المسيح يعرف مفهوم المسيح فى أذهان اليهود . ولو قال لهم :«نعم .أنا المسيح» ؛ لقالوا له : :«هات لنا الشريعة الكاملة لنحكم بها العالم» ولو قال لهم :«لا . أنا لست المسيح» لقالوا له : «ولماذ تصدع رءوسنا ؟» - ولا يزال اليهود ينتظرون المسيح الذى سيأتى لهم بالشريعة الكاملة ليحكموا بها العالم . (المترجم) .

الحواريون جميع الأمم ذا صفة سياسية أملته الظروف السياسة التى كانت سائدة فى فلسطين عند تحرير متّى لإنجيله . كان هنالك الاحتلال الرومانى لفلسطين ، وكان اليهود يتطلعون بشدة إلى الاستقلال والتحرر من حكم الرومان الوثنيين لهم . وإذا كان الرومان يمتلكون الجند والسلاح فإن اليهود من بنى إسرائيل كانوا يمتلكون ما يعتزون به من ديانة التوحيد والشريعة الموسوية والتوراة . وإذا كان الرومان أساتذة فى الحرب ، فاليهود من بنى إسرائيل كانوا يرون أنهم أساتذة فى الدين والاتصال بشرائع الله وتعاليمه . وكان ينبغى من وجهة نظرهم أن يكون الرومان[١] وغير الرومان تلاميذ لهم وأتباعا .

ولذلك لم تخل تطلعات اليهود من التوجه إلى الله بالدعاء كى يتدخل بقدرته وجبروته لصالح شعبه المختار من بين كل الشعوب ، الشعب الذى هو – الله– ملكه الأكبر ويستطيع أن يأتى بعونه المباشر ليتدخل لنصرة شعبه بين البشر كما سبق له –جل شأنه – أن فعل ذلك مرات كثيرة عبر التاريخ .

أى نوع من الناس كان متى ؟! ?! What sort of person was Matthew

فلنقل صراحة بادئ ذى بدء أنه لم يعد يُنْظَرُ إليه باعتبار أنه أحد الحواريين أتباع المسيح Jesus's companions وإن كان «أ . تريكو» بالرغم من ذلك يقدمه باعتبار أنه أحد الحواريين فى مقدمة ترجمته للعهد الجديد التى أصدرها عام ١٩٦٠ حيث يقول فيها عن متّى :«متّى أليماس ليفى كان عشارا وظيفته تحصيل رسوم العُشر على البضائع المنقولة المتحركة على الطرق ؛ أى : أنه كان موظفا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم يُحصّل الضرائب لحساب الرومان عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته» . وهذا بالضبط هو ما كان يعتقده آباء الكنيسة بوجه عام مثل اوريجين وجيروم وإبيفان . ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا الاعتقاد بشأن كون متى ليفى من تلاميذ المسيح وحوارييه . إن مسألة واحدة تعتبر على جانب كبير من الأهمية والخطورة لم يأبه لها ولم يضعها فى اعتباره كل من اعتبروا متّى من الحواريين أتباع وتلامذة[٢] المسيح المباشرين . وهذه المسألة هى أنه كان يكتب باللغة اليونانية لليونان والرومان الذين كانوا يتحدثون اللغة اليونانية.

كان متّى كاتبا يهوديا ، موضوعات كتابته كانت فلسطينية ، أما كتابته ذاتها فكانت يونانية اللغة ، كان تحريره له باللغة اليونانية . وفى ذلك يقول «أ . كولمان» : «إن الكاتب ، متّى ، كان يخاطب فى كتابته «أناسا» وإن كانوا يتحدثون اليونانية فلقد كانوا يعرفون أيضا العادات والشرائع اليهودية وكانوا يعرفون اللغة الآرامية أيضا» .

(١) هذا بالضبط هو ماتخم فيه بولس عندما اتجه إلى محاولة إدخال القوة الرومانية المسيطرة عسكريا على العالم إلى الديانة المسيحية وأباح للرومان كل ما كانوا يعترضون عليه مثل عدم موافقتهم على الختان وإصرارهم على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير . (المترجم) .

(٢) من الشائع فعلا أن متّى كان من الحواريين التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام ، ولكن ملاحظة المؤلف أنه قد كتب الإنجيل المنسوب إليه باللغة اليونانية مسألة جديرة فعلا بالاعتبار . (المترجم) .

أما أصحاب الترجمة المسكونية للعهد الجديد ، فقد ورد فى تعليقهم على شخصية متى وإنجيله ما يلى :«من الأرجح أن إنجيل متّى قد جرت كتابته فى سوريا أو فى إنطاكية أو فى فينيقيا حيث كان يعيش فى هذه المناطق كثير من اليهود ، أو الذين اعتنقوا الديانة اليهودية[١] ومن الممكن أن نستشف آثار معركة فكرية كانت ناشبة بين اليهود – المسيحيين وبين اليهود الفريسيين المتمسكين بالتشدد فى التعلق بتقاليد طقوس المعبد اليهودى ، والنصوص التوراتية ، وهى المعركة التى ظهرت معالمها بوجه خاص فى جامينا فى سنة ٨٠م ، أو ربما قبل ذلك بقليل[٢] . ولا يمكن الوصول إلى يقين كامل فى هذا الشأن . ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة له فى ذات إنجيله ومنها أنه معروف بمهنته (متى العشار) ، وبأنه واسع الإلمام بنصوص التوراة وبالتراث اليهودى ، وبأنه كان يحترم رؤساء شعبه اليهودى ، وإن عارضهم وخالفهم فى بعض معتقداتهم ، وأنه كان أستاذا فى فن التدريس والتعليم الدينى ، ذا إلمام كبير بقواعده وأصوله ، وله قدرات هائلة فى مجال تبسيط وتوضيح أقوال المسيح لمستمعيه مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتطبيق تعاليمه فى الواقع الفعلى . وهذه الصفات كلها تتفق تماما مع صفات وسمات شخص يهودى أو اعتنق الديانة اليهودية ، متأدب ، ومعلم حاذق يخرج من كنزه جديدا من بين طيات القديم كما ينص على ذلك إنجيله نفسه بالأصحاح الثالث عشر بالجملة الثانية والخمسين[٣] ...» إن هذه صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطى بكفر ناحوم الذى كان يطلق عليه مرقس ولوقا اسم «ليفى» والذى أصبح معدودا ضمن الحواريين الاثنى عشر التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام .

ويتفق الجميع على أن متّى كان قد كتب إنجيله بالاعتماد على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا ولكن روايته فى إنجيله تختلف عن رواية إنجيل كل منهما فى نقاط ومسائل جوهرية كما سيتضح لنا ، ومع ذلك فقد اعتمد متى فى صياغة إنجيله على مرقس[٤] إلى حد كبير . ولم يكن مرقس بأى حال من الحواريين ، التلاميذ المباشرين للمسيح عليه السلام .

كان متّى يتصرف بحرية خطيرة فى صياغة النصوص وعلى وجه الخصوص نصوص العهد القديم كما يفعل كبار المفسرين والأستاذة فى مجال التفسير إذ لا يترددون فى إبراز معنى جديد لنص قديم ، وهو ما فعله متّى على وجه التحديد فيما يتعلق بسلسلة نسب المسيح التى كان يعلق

(١) يشير المؤلف نفسه فى ملاحظة هامشية بأسفل الصفحة (٦٠) من الترجمة الإنجليزية لكتابه أن متّى ربما كان قد كتب إنجيله بالإسكندرية حيث كان يعيش كثير من أتباع اليهودية المسيحية . (المترجم) .

(٢) مثل هذه المعارك ، والصراعات الفكرية تمتد فى العادة على مدار سنين كثيرة متلاحقة . (المترجم) .

(٣) النص المشار إليه هو: «فقال لهم من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلا ربّ بيت يخرج من كنزه جُدُداً وعتقاء .» (إنجيل متّى ١٣ : ٥٢) ومن الواضح أنهم اعتبروا أن متّى إنما كان يعبر عن نفسه من خلال هذا النص الذى ينسبه إلى المسيح أنه كان قد قاله بوجه عام. (المترجم) .

(٤) هذا شأن عجيب حقا ، سفمن المعقول ومن المتوقع أن يأخذ «اللاحق» وأن يقتبس مما كتبه «السابق» ، ومن المعقول ومن المتوقع أن يأخذ وأن يقتبس «من سمع» فحسب «ممن رأى وسمع» .كان المعقول والمتوقع هو أن يأخذ «مرقس» ويقتبس من «متّى» لا العكس لأن متى هو الحوارى أحد شهود العيان . (المترجم) .

عليها أهمية كبيرة إلى حد أن وضعها فى بداية الإنجيل المنسوب إليه . ويمتلئ هذا الإنجيل المنسوب إلى متّى بوجهات نظر وروايات يستحيل التصديق بصحتها . واستحالة التصديق هذه ليست وَصْفًا من عندنا ولكنها الوصف الذى وصف به الأب كانينجسر هذه الروايات كما أوردها متى فى الإنجيل المنسوب إليه خصوصا عندما تحدث إنجيل متّى عن «قيامة المسيح» خصوصا روايته بشأن حراس القبر من الجند . ويلاحظ كانينجسر أن أولئك الجند الذين كانوا يحرسون قبر المسيح وفقًا لرواية متّى لم يذهبوا بتقريرهم إلى رؤسائهم وإنما ذهبوا إلى كبير أحبار اليهود ليرشوهم ليقولوا للناس الأكاذيب . ولكن الأب كانينجسر يحاول تخريج المسألة بطريقة تبريرية تحاول إنقاذ كل ما يمكن إنقاذه من براثن اللامعقولية في رواية متّى فى هذا الصدد عندما يقول : «ولكن علينا أن نلزم جانب الحذر فى تقديرنا لدوافع متّى ليكتب عن هذه الأمور غير المعقولة على هذا النحو» إن متّى – فيما يرى الأب كانينجسر – كانت نيته جديرة بالإجلال والاحترام . إذ لم يفعل شيئا غير معتاد بمقاييس التراث الشعبى المتداول فى عصره ، حيث كان الناس لا يجدون حرجا فى الروايات الشعبية من سرد أوصاف غير معقولة لبعض الأحداث حتى لو كانت متعلقة بأحد الأبطال المعروفين ، أو الأولياء الصالحين بالضبط كما يفعل صناع الأفلام السينمائية فى أحد أفلامهم الذى يجعل من المسيح «نجما سينمائيا» Super Star فى أحد أفلام السينما التى عرضت على الناس بالفعل .

وعلينا أن نضع فى اعتبارنا أن هذا هو رأى ونظرة وتخريج وتحليل عالم لاهوت مسيحى بارز هو الأب كانينجسر ، وهو مسيحى مؤمن ، وهو أيضا أستاذ اللاهوت المسيحى بالمعهد الكاثوليكى فى باريس .

وثمة مثال آخر يدل دلالة واضحة على أن متّى فى إنجيله لم يكن يذكر تاريخ ووقائع وأحداث حياة المسيح كشاهد عيان بل كان يطلق لخياله العنان فى اختلاق العجائب والغرائب التى واكبت موت[1] المسيح إذ يقول فى الإنجيل المنسوب إليه بالحرف الواحد ما نصه :«وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور فتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين . وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين . وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان ، خافوا ، وقالوا : حقا كان هذا ابن الله . وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه ومنهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب وأم ابنى زبدى» . (إنجيل متّى ٢٧ : ٥١-٥٦) .

---

(١) لم يمت المسيح على الصليب كما توهم ذلك أتباعه وأعداؤه ظنوه مات على الصليب ، وكان فى حقيقة الأمر لم يمت ، شبه لهم أنه مات فأنزلوه بأيديهم عن الصليب ، وكانوا يستعجلون الجند لإنزاله ودفنه ، ولم تكن ساقاه قد قطعتا كما قطعت ساقا كل من اللصين المصلوبين معه . وكانت هذه هي طريقة الله فى إنقاذ المسيح مما أراده له أعداؤه واجتهدوا لتحقيقه . وهذا هو المعنى الصحيح لقول القرآن الكريم﴿ولكن شبه لهم﴾ والله أعلم . (المترجم) .

وليس لهذه الفقرة من إنجيل متّى مثيل فى أى من الأناجيل الأخرى[1] ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين أن تخرج من القبور بعد قيامة المسيح أى غداة السبت كما يقول الإنجيل .

وربما كان إنجيل متّى الذى يروى تفاصيل هذا المشهد المصاحب لموت وقيامة المسيح حسب رواية إنجيل متّى قد وصل إلى ذروة اللامعقولية كما وصل إليها أيضا فى موضع آخر عندما يحدثنا متّى عن آية (معجزة) يونس كما يلى :

كان المسيح موجودا بين رهط من اليهود الكتبة والفريسيين فقالوا له :«يا معلم ، نريد أن نرى منك آية» . أى أنهم طلبوا منه أن يعمل لهم معجزة . فأجابهم المسيح بقوله :«جيل شرير وفاسق يطلب آية ! ولا يعطى له آية إلا آية يونان[2] لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» . (إنجيل متّى ١٢ :٣٨-٤٠) .

ها هو ذا المسيح يعلن وفقا لما أورده عنه إنجيل متّى أنه (المسيح) سيموت وسيدفن فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ثم يقوم المسيح من القبر ببطن الأرض ويخرج منه كما خرج سيدنا يونس حيا من بطن الحوت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال كما يخبرنا بذلك إنجيل متّى . ولكن ذات إنجيل متّى ومعه إنجيل لوقا وإنجيل مرقس يحدد كل منها موت المسيح بأنه قد تم فى آخر نهار الجمعة وعند فجر يوم الأحد ذهبت مريم المجدلية إلى قبر المسيح فلم تجد جسده فى الكفن داخل القبر . ويستحيل أن تمتد فترة بقاء المسيح فى قلب الأرض أكثر من ليلتين فقط . والنص اليونانى لإنجيل متّى قاطع الدلالة على أن مدة بقاء المسيح فى قبره هى ثلاثة أيام Treis emeras وثلاث ليال Treis nuktas ويستحيل القبول بمحاولة تحايل المفسرين المسيحيين لتبرير هذا الخطأ الحسابى الواضح فى حساب مدة بقاء المسيح فى مدفنه بأن : «يوم كامل وليلتان» مجموعهما ثلاثة أيام كما حاول ذلك الأب روچيه ، إذ أن الأب روچيه نفسه يستدرك قائلا :«ولكن لا يجوز هذا التبرير لأن التعبير فى النص كما أورده إنجيل متّى جامد لا يحتمل مثل هذا التأويل» . ومن المحزن حقا أن نلاحظ أن المفسرين ينزلقون إلى استخدام مثل هذه التبريرات لمحاولة تمرير مثل هذه المتناقضات على حين أن الاعتراف بوجود خطأ فى كتابة النص ربما كان أكثر إقناعا للعقل[3] .

وبالإضافة إلى هذه الأمور غير المعقولة يتميز إنجيل متّى أولا وقبل كل شىء بأنه إنجيل طائفة من طوائف اليهودية – المسيحية التى نزعت إلى مخالفة اليهودية مع التمسك بنصوص العهد القديم . ومن هنا تنبع الأهمية الكبرى لإنجيل متّى فى التأريخ لاتجاه اليهودية – المسيحية .

(١) لو كانت هذه الأحداث المصاحبة لموت وقيامة المسيح كما يذكرها متى فى إنجيله قد حدثت فى الحقيقة فكيف يجوز أن تهملها بقية الأناجيل التى عرضت تاريخ حياة المسيح ؟ (المترجم) .

(٢) يونان هو سيدنا يونس ، صاحب الحوت أو صاحب النون . (المترجم) .

(٣) معناه بوضوح أن الاعتراف بوجود خطأ أجدى وأولى بالقبول والإقناع من المحاولات الفاشلة لتبرير الخطأ . (المترجم) .

الإنجيل وفقاً لرواية مرقس

The Gospel According To Mark

إنجيل مرقس هو أكثر الأناجيل الأربعة إيجازاً ، وهو أيضا أقدم الأناجيل ، وبالرغم من ذلك ، ليس كاتبه واحدا من الحواريين Apostles بل إن كاتبه فى أحسن الفروض إنما كان هو تلميذ لأحد الحواريين .

إن «أ. كولمان» قد كتب يقول : إنه لا يستطيع أن يعتبر «مرقس» كان حواريا للمسيح، وبالرغم من ذلك يدافع «كولمان» عن مصداقية إنجيل مرقس بقوله :«إن مَتَّى ولوقا لم يكونا ليستخدما هذا الإنجيل مثلما فَعَلاَ لو كانا يعرفان فعلا أنه غير مؤسَّسٍ على تعاليم أحد الحواريين» ولكن هذه الحجة حجة ضعيفة واهية لا تكفى لإزالة العجب والدهشة التى تعترينا عندما نجد أن أقدم الأناجيل الذى اقتبس منه الحواريون الأناجيل التى كتبها كل منهم لم يكن أحد الحواريين الذين شاهدوا وسمعوا مباشرة المسيح هو الذى كتبها ، ويحاول (أ.كولمان) تعضيد هذه الحجة بالإشارات الكثيرة فى العهد الجديد التى تشير إلى رجل اسمه «يوحنا» ولقبه هو «مرقس» ولكن نلاحظ نحن أن هذه الإشارات لا تشير صراحة إلى «مؤلف إنجيل» وحتى نصوص إنجيل مرقس كلها، لاتشير إلى أى مؤلف .

إن نَقْصَ المعلومات الخاصة بصحة نسبة إنجيل مرقس إليه قد أفضت بالمفسرين إلى التهافت ، والمبالغة فى دلالة قصة الشاب «الذى كان يلبس إزاراً على عريه وترك الإزار وهرب وهو عريان عندما شُرِع فى الإمساك به» وعلى أساس أن مرقس هو الوحيد الذى حكى فى إنجيله حكاية هذا الشاب (إنجيل مرقس١٤ : ٥١-٥٢) فتهافت المفسرون على استنتاج أن مرقس كان هو نفسه ذلك الشاب ؛ أى : أنه كان من الحواريين . وتقول مقدمة الترجمة المسكونية فى هذا الصدد : «وبسبب هذه الذكرى الشخصية توجد علامة على الصحة بإمضاء مجهول» . ويقول «كولمان» :

«إن هذا يدل على أن صاحب هذا الإنجيل كان واحدا من شهود العيان» .

ويري «كولمان» «أن هناك كثيراً من تراكيب الجمل فى إنجيل مرقس تدعم الفرض القائل : بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودى الأصل»ولكن وجود تعبيرات لاتينية بهذا الإنجيلLatin expressions يجوز أن توحى بأنه كان قد كتب إنجيله فى روما . In Rome «إنه يعبر عن نفسه للمسيحيين مرارا باعتبار أنه لا يعيش فى فلسطين ، وهو يهتم بشرح وتفسير المصطلحات الآرامية التى يستخدمها» .

ويميل التراث المسيحى فعلا إلى النظر إلى مرقس باعتبار أنه رفيق بطرس فى روما Peter's Companiom in Rome وهذا الاعتقاد يقوم على أساس من عبارات نهاية رسالة بطرس الأولى

(لوكان بطرس هو كاتب هذه الرسالة فعلا) . ويقال : إن بطرس قد كتب لمن وجه إليهم رسالته هذه :«إلى جماعة المختارين ببابل:«نحييكم وكذلك مرقس أخى.» وهناك شك فيما إذا جماعة المختارين أولئك فى «بابل» أو «فى روما» ونقرأ عن هذا الشك فى ملاحظات الترجمة المسكونية . ومن هنا يعتقد بعض المفسرين أنه يجوز استنتاج أن مرقس الذى كان مع بطرس فى روما هو المبشر... ولنا أن نسأل : هل هذا هو السبب الذى جعل «بابياس» ينسب الإنجيل موضوع دراستنا إلى مرقس الذى يقول عنه : إنه كان : «مترجما لبطرس» وأنه كان«مساعدا لبولس» أيضا؟.

إن إنجيل مرقس على هذا الأساس يكون قد تمت كتابته بعد وفاة بطرس أى فى عام ٦٥م أو ٧٠م وفقا لوجهة نظر القائمين على شأن الترجمة المسكونية . وفى رأى «كولمان» أنه قد تمت كتابة هذا الإنجيل فى عام ٧٠م .

وفى نص إنجيل مرقس عيب رئيسى لاجدال فيه وهو أنه لم يهتم بالتعاقب الزمنى للأحداث Chronology إن إنجيل مرقس يضع فى بدء روايته بالأصحاح الأول منه حكاية صيادى السمك الأربعة الذى دعاهم المسيح لكى يتبعوه قائلا لهم ببساطة : «ستصيرون صيادى الناس» على حين أنهم لم يكن لهم سابق معرفة به . ويضاف إلى ذلك أيضا أن إنجيل مرقس يفتقر أيضا إلى المعقولية ، وفى ذلك يقول الأب روچيه :«إن مرقس كاتب غامض الأسلوب Clumsy writer وإنجيله هو أضعف الأناجيل The weakest of all evangelists . إنه فى رأى الأب روچيه–لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية . وللتدليل على ذلك يسرد الأب روچيه قصة الحواريين الاثنى عشر كما وردت فى إحدى فقرات إنجيل مرقس :«ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه . وأقام اثنى عشر ليكونوا معهم ، وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان إخراج الشياطين . وجعل الاثنى عشر وفرض على سمعان اسم بطرس» (إنجيل مرقس٣ : ١٣–١٦) .

إن إنجيل مرقس يتناقض أيضا فى مواضع كثيرة مع إنجيل مَتّى ومع إنجيل لوقا بشأن بعض الأحداث كما هو الشأن بصدد آية يونان (يونس) ، وكذلك أيضا بشأن الآيات التى يعطيها المسيح للبشر أثناء بعثته . ويسرد إنجيل مرقس حكاية لم تعد قابلة للتصديق ومثال ذلك قوله : «فجاء الفريسيون وجعلوا يحاورون المسيح ، وليسوقوه إلى فخ طلبوا منه آية من السماء . فتنهد بروحه وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية . الحق أقول لكم : لن يعطى هذا الجيل آية» (إنجيل مرقس ٨ : ١١–١٢) .

ولاشك أن هذه القصة فى إنجيل مرقس تطلعنا على أن المسيح قد أكد بنفسه أنه لن يقوم بأى فعل غير طبيعى كآية أو معجزة كما طلب منه الفريسيون ذلك . ومن هنا يعجب المعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد من تصريح مَتّى فى إنجيله من أن المسيح قد قال للفريسيين : إنه

لن يعطيهم إلا آية واحدة هى أية يونان «يونس» . وكذلك إنجيل لوقا يؤكد رواية إنجيل متّى فى هذا الصدد .(انظر : إنجيل لوقا ٧ :٢٢) و (١١ :٢٠) .

وعلى الرغم من أن إنجيل مرقس من الأناجيل التى تحظى باعتراف الكنيسة نجد أن علماء الكنيسة يعتبرون خاتمة هذا الإنجيل المنسوب إلى مرقس غير صحيحة وهى إضافة مزورة (إنجيل مرقس[١] ١٦ : ٩–٢٠)وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا الاعتبار بكل صراحة .

إن هذا النص المشار إليه آنفاً فى آخر إنجيل مرقس غير موجود فى أقدم مخطوتين للأناجيل وهما مخطوطة كوديكس ڤاتيكانوس Codex vaticanus ومخطوطة كوديكس سينايتيكوس Codex sinaiticus اللتان يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع الميلادى ، ويقول أ.كولمان فى هذا الصدد وما نصه : «إن مخطوطات يونانية أحدث من هاتين المخطوطتين قد أضافت خاتمة لصورٍ من ظهور المسيح بعد عملية الصلب دون الاستناد إلى إنجيل مرقس بل بالاستناد إلى أناجيل آخرى» . ونجد أن صياغات لصور ظهور المسيح بعد عملية الصلب إنما هى كثيرة جداً ، ونجد فى هذا الصدد روايات طويلة جدا فى بعض الأحيان ، ونجد نصوصا مختصرة جدا فى أحيان أخرى (تتضمن الترجمة المسكونية للعهد الجديد كلا النوعين) – ونجد الروايات المطولة مصحوبة ببعض الحواشى والتعليقات والشروح فى بعض الأحيَان .

ويعلق الأب كانينجسر على هذه الخاتمة الموجودة بآخر إنجيل مرقس المتعلقة بصعود[٢] المسيح إلى السماء أمام الحواريين بقوله : «لابد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند التدوين الرسمى (أو عند النشر على العامة من الناس) لإنجيل مرقس بين أعضاء الجماعة التى كان مرقس ينتمى

---

(١) يقول نص إنجيل مرقس فى الموضع المشار إليه أعلاه بالحرف الواحد عن المسيح بعد دفنه ما يلى : «وبعدما قام باكرا فى أول الأسبوع ظهر أولا لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا . وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية . وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين . أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون وربخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع وكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدَن . وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة . يحملون حيات وإن شربوا شيئا ميتا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون . ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس على يمين الله ، وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة . آمين .»(إنجيل مرقس ١٦ :٩–٢٠) ولو ضربنا صفحا عن مناقشة ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب أو لم يمت أو عن أنه قام من بين الأموات أم أنه لم يكن قد مات أصلا، ولو ضربنا صفحا عن إخراج الشياطين وعدم الموت من جراء شرب الأشياء المميتة نجد أن المدهش حقا هو ارتفاع المسيح إلى السماء وجلوسه على يمين الله أمام الحواريين الأحد عشر ثم اعتراف علماء اللاهوت المسيحيين أنفسهم أن هذا النص يستحيل قبوله كنص صحيح بالكتاب المقدس . وتشير الملاحظة (Z) بالترجمة الإنجليزية للعهد الجديد –ص٧١من طبعة كولينز إلى أن بعض الوثائق والترجمات لا يوجد بها هذا النص (١٦ :٩–٢٠) من إنجيل مرقس ، أى أنه إضافة وتزييف ، ولكنه موجود فى الطبعات المتداولة حتى اليوم بأيدى الناس ، وتضيف طبعة كولينز نهاية أخرى لإنجيل مرقس تحت عنوان هو : «Another old End-ing» فماذا يصدق الناس بشأن هذه النصوص المقدسة بإنجيل مثل إنجيل مرقس ؟(المترجم).

(٢) ليست مسألة محسوسة هامة مثل الزعم بصعود المسيح حيا بجسمه إلى السماء أمام أنظار حواريه مسألة قليلة الأهمية . وإذا كانت هذه المسألة قد حدثت فعلا فمن الغريب أن يتم حذفها ، ومن الغريب ألا يذكرها كتاب الأناجيل الأخرى ، ومن الغريب أن ينفرد مرقس بذكرها . وإذا كانت لم تحدث أصلا فمن الغريب أن يذكرها مرقس فى الإنجيل المنسوب إليه . (المترجم) .

إليها . إن إنجيل متّى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا على وجه الخصوص لم يتعرض أحدها لهذا الجزء الذى جرى حذفه من إنجيل مرقس فيما يتعلق بصعود المسيح إلى السماء أمام أنظار حواريه ؛ مما جعل هذه الفجوة فجوة يستحيل فهمها أو تبريرها أو تصورها . وبعد ذلك بكثير ، وبعد ظهور بعض النصوص المشابهة تم توليف خاتمة محترمة لمرقس وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى كتاب الأناجيل ،ومن السهل الاستدلال على استبعاد هذه المعضلة puzzle بالنظر إلى خاتمة إنجيل مرقس (بالأصحاح السادس عشر :٩-٢٠) ويعطينا ذلك فكرة واضحة عن مدى «الحرية» التى كان كتاب الأناجيل يتمتعون بها عند كتابتهم نصوص الأناجيل حتى أعتاب القرن الثانى الميلادى .

ياله من اعتراف صريح[١] ذلك الاعتراف الذى يقدمه لنا هذا العالم الكبير من علماء اللاهوت المسيحى !

الإنجيل وفقًا لرواية لوقا

The Gospel According to luke

يعتبر أ .كولمان أن لوقا كاتب قصص وروائى حقيقى "true novelist" هذا ، بينما ينبهنا الأب كانينجسر إلى أن لوقا بنفسه ينبهنا فى صدر إنجيله الذى وَجّه كلامه إلى ثاوفيلس Theophilus إلى أنه (لوقا) بعد الآخرين الذين أنشئوا قصصا عن المسيح سينشئ[٢] بدوره «حكاية» عن نفس الأحداث مستخدما هذه القصص ومعلومات الشهود المعاينين- وذلك يعنى أنه ليس واحدا منهم - وذلك بالإضافة إلى المواعظ المستمدة من روايات الحواريين . إن هدف لوقا بناء على ذلك هو تدوين كتاب ذى حبكة قصصية مستمدة من عديد القصص ويقدم له لوقا بنفسه إذ يقول :«إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأحداث التى وقعت كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهودا معاينين وخداما للكلمة ، ورأيتُ أنا أيضا ، إذا تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ، أن أكتب إليك ، أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به.»

وهكذا ، منذ السطور الأولى فى إنجيل لوقا يستطيع القارئ أن يميز بين كتابة لوقا لإنجيله وبين كتابة مرقس وأسلوبه الغث فى الكتابة كما أوضحناه عندما تحدثنا عن إنجيل مرقس . إن إنجيل

---

(١) يا له من اعتراف صريح !!هل مارس كتاب نصوص الكتاب المقدس «الحرية» فى كتابة النصوص المقدسة وفقا لأهوائهم وميولهم الشخصية؟ إن هذا هو صميم المشكلة ! (المترجم) .

(٢) من الجدير بالذكر أن نورد نص كلام لوقا فى صدر إنجيله إذا يقول بالحرف الواحد ما نصه كما يلى : «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به .» (إنجيل لوقا ١ : ١-٤) ومنه يتضح أن هدف لوقا هو تأليف قصة بتدقيق رأى هو أيضا أن يقوم بتأليفها اعتمادا على تمحيص القصص التى سبقه غيره بتأليفها . (المترجم) .

لوقا عَمَلٌ أدبى متقن دون جدال فى ذلك، وهو مكتوب فى لغة يونانية[١] كلاسيكية رائعة راقية تخلو من سَقط الكلام وحوشيه .

إن لوقا أديب يونانى وثنى آمن بالمسيحية . وموقف لوقا من المعتقدات اليهودية فى غاية الوضوح . إن لوقا –كما يقرر ذلك أ. كولمان يحذف من روايته كثيرا من الحكايات والنصوص اليهودية الموجودة فى كتابات مرقس ، ويبرز نصوص كلمات المسيح المعبرة عن كفْر اليهود ، ويبرز نصوص كلمات المسيح التى كانت تدل على العلاقة الطيبة بين المسيح وبين السامريين الذين كان اليهود يمقتونهم . هذا على حين أننا نجد أن متّى يقول فى إنجيله إن المسيح طلب إلى حواريه أن يتجنبوا السامريين ، وهذا مثال واضح الدلالة على أن الحواريين كانوا يضعون على لسان المسيح الكلمات التى كانت تتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية . ولا ريب أن كلا منهم كان يفعل ذلك باقتناع مخلص ، ولا ريب أيضا فى أن كلا منهم كان يعطينا من أقوال المسيح ما يتناسب فقط مع وجهات نظر الطائفة الدينية التى كان ينتمى إليها كل منهم .

كيف يمكن – والحال هى هذه – إنكار أن هذه الكتابات كانت كتابات خصومية أو كتابات أملتها ظروف المخاصمات بين الطوائف المسيحية المتخاصمة كما سبق أن أسلفنا ؟

" Combat writings or writings suited to an occasion."

إن المقارنة بين نصوص إنجيل متّى ونصوص إنجيل لوقا تقدم لنا برهانا واضح الدلالة فى هذا الصدد .

من هو لوقا؟ ?Who was Luke لقد كانت هناك محاولة للتعرف على شخصية لوقا باعتبار أنه كان طبيبا اسمه لوقا ، وقد أشار إليه بولس وذكره فى بعض رسائله . وتلاحظ الترجمة المسكونية للإنجيل «أن آثار مهنة الطب التى كان يمارسها لوقا قد ظهرت آثارها فى معالجته للنصوص المعتلة وإصلاحه لشأنها ، كما كان لوقا يشخص ويعالج الحالات المرضية للناس الذين كان يتولى علاجهم من خلال اشتغاله بمهنة الطب» وهذا تقدير مبالغ فيه كل[٢] المبالغة. إن لوقا لا يعطى تشخيصا ولايوصى بعلاج من هذا النوع . والمفردات التى يستخدمها تدل فحسب على أنه كان «إنسانا مثقفا من مثقفى ذلك العصر a cultivated man of his time » وقصارى القول هو أنه كان هنالك شخص اسمه «لوقا» كان رفيق سَفَرٍ لبولس فى رحلاته . والسؤال هو : هل كان ذلك الشخص المدعو «لوقا» رفيق سَفَرِ بولس هو نفس الشخص الذى كان طبيبا يدعى «لوقا» ؟ إن أ . كولمان يعتقد ذلك .

---

(١) هكذا تأثرت كتابة وصياغة نصوص الأناجيل بالثقافة اليونانية واللغة اليونانية والفلسفة اليونانية والفكر اليونانى وسنشهد أثر ذلك أكثر وضوحا عندما نصل إلى إنجيل يوحنا وهو أيضا مكتوب فى أصولة باللغة اليونانية . (المترجم) .

(٢) يفهم من ذلك أن لوقا قد نجح فى تشخيص وعلاج روايات الأناجيل السابقة المعتلة عن قصة حياة المسيح كما ينجح الطبيب فى تشخيص وعلاج حالة مرضية لشخص مريض . ويرى المؤلف أن لوقا لم ينجح فى تشخيص وعلاج مظاهر اعتلال قصص حياة المسيح فى الأناجيل كما يوهم بذلك هذا التشبيه .(المترجم) .

إن تاريخ تحرير لوقا للإنجيل المنسوب إليه يمكن تحديده بالنظر إلى اعتبارات عديدة منها أن لوقا قد استعان فى تحريره الإنجيل المنسوب إليه بنصوص إنجيل متّى وبنصوص إنجيل مرقس ، وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد : إن لوقا كان معاصرا لحصار القدس وتدميرها بواسطة جيوش طيطس Titus عام (٧٠ بعد الميلاد) ويمكن القول : إن إنجيل لوقا قد تم تحريره بعد هذا العام . ويحدد المؤرخون تاريخ تحريره فيما بين عام (٨٠) وعام(٩٠) بعد الميلاد ، ،ويحلو لبعض مؤرخى الكتاب المقدس الارتداد بتاريخ تحرير هذا الإنجيل إلى تاريخ أكثر قدماً .

وتحتوى رواية إنجيل لوقا على اختلافات كثيرة عن رواية سابقيه فى مواضع كثيرة تشير إليها الترجمة المسكونية فى صفحة (١٨١) وما بعدها .

ويذكر أ .كولمان فى صفحة (١٨) من كتابه :«العهد الجديد» روايات عن وقائع فى إنجيل لوقا غير موجودة فى الأناجيل الأخرى فيما يتعلق بأحداث برمتها وليس الاختلاف مجرد اختلاف فى التفاصيل .

ومثال ذلك ما يرويه إنجيل لوقا عن طفولة المسيح ، ويرويه إنجيل متّى بشكل مختلف بينما لا يقول مرقس عن هذه الأحداث فى طفولة المسيح كلمة واحدة.

إن كلا من متى ولوقا يعطى كل منهما شجرة نَسَبٍ مختلفة للسيد المسيح عليه السلام -differ ent genealoiges of Jesus والتناقض بينهما فى هذا الصدد مهم جدا وهو يتناقض مع[١] المعقولية من وجهة النظر العلمية إلى حد يتطلب إفراد هذا الموضوع بفصل خاص من الدراسة ، إن إنجيل متّى إذ يتوجه بخطابه إلى اليهود يبتدئ شجرة نسب المسيح بسيدنا إبراهيم – عليه السلام– ويجعلها تمر أيضا بسيدنا داود عليه السلام ، أما «لوقا» فهو وثنى آمن بالمسيحية ، وهو يهتم بأن يمد جذور هذه الشجرة إلى ما قبل سيدنا إبراهيم . وليس هذا فحسب، ولكن القارئ سيجد أن شجرة نسب المسيح لا تتطابق أيضا بعد سيدنا داود عند متى ولوقا ، وسنجد أيضا أن تفاصيل رسالة المسيح ذاتها تختلف لدى كل من لوقا ومتّى ومرقس .

إن مسألة هامة لدى المسيحيين ترقى إلى أهمية سر تناول القربان المقدس أو الأفخارستيا[٢] The

---

(١) التناقض غير معقول وغير مقبول فيما يتعلق بتحديد شجرة نسب أى شخص لأن أى شخص إما أن يكون ابنا لرجل بعينه أو لا يكون ابنا له ، ولا وسط ، فهى مسألة لا يجوز أن يكون فيها خلاف كما هو حاصل ! (المترجم) .

(٢) تناول ومضغ وبلع قطعة من الخبز مع الاعتقاد بأنها جسد المسيح ، وتناول وابتلاع كمية من الخمر مع الإعتقاد بأنها دم المسيح . (المترجم) . لوقا ٢٢ :١٩–٢٤ : «وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا : هذا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم . اصنعوا هذا لذكرى ، وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم . ولكن هو ذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة . وابن الإنسان ماض كما هو محتوم ولكن ويل لذلك الإنسان الذى يسلمه» . متّى ٢٦ : ٢٦–٣٠ : «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا ، هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج هذه الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا فى ملكوت أبى ثم سجدوا وخرجوا إلى جبل الزيتون.» والسؤال هو : ماذا قال يسوع بالضبط فى هذه المناسبة المحددة ؟وهل ذكر يد ذلك الذى يسلمه كما قال لوقا أم لم يذكرها كما قال متّى ؟ (المترجم) .

Eucharist نجد بشأنها خلافا كبيرا من وجوه كثيرة لدى لوقا ولدى غيره من أصحاب الأناجيل .

ويلاحظ الأب روچيه فى كتابه المعنون بعنوان : «مقدمة إلى الإنجيل» بالصفحة رقم (٧٥) أن الكلمات التى يتحدث فيها لوقا عن سر الأفخارستيا كما نجدها بالأصحاح (٢٢ : ١٩-٢٤) تختلف عن الكلمات التى يتحدث فيها إنجيل متّى عن نفس المسألة بالأصحاح (٢٦ :٢٦-٢٩) ، وتختلف عما ورد بشأنها فى إنجيل مرقس بالأصحاح(١٤ :٢٢-٢٤) وإن كان هناك تشابه بين متّى ومرقس فى هذا الصدد . هذا بينما تتطابق رواية لوقا فى هذا الصدد مع رواية بولس (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ :٢٣-٢٥) .

إن لوقا ، فى إنجيله كما رأينا يقول عن صعود المسيح قولا يناقض ما يقوله فى «أعمال الرسل» التى يجمع علماء الكتاب المقدس على أنه هو كاتبها، وهى جزء متمم للعهد الجديد .

إن لوقا فى الإنجيل المنسوب إليه يحدد تاريخ صعود المسيح بأنه قد حَدَثَ يوم عيد الفصح ، ولوقا فى «أعمال الرسل» يجعل صعود المسيح بعد ذلك بأربعين يوما . ويالها من تعليقات غريبة تلك التعليقات التى يزجيها إلى الناس علماء الكتاب المقدس فى محاولاتهم لإزالة هذا التناقض!

ولكن علماء الكتاب المقدس ممن لا يرغبون فى تجاهل الموضوعية كل التجاهل لاينكرون وجود التناقض بل يحاولون التقليل والتهوين من أهميته عندما يقولون إن الاهتمام الأول عند لوقا ليس هو الدقة المادية بل هو الدلالة المعنوية .

إن الأب كانينجسر مثلا يقارن روايات «أعمال الرسل» وهى من تأليف لوقا نفسه بروايات أخرى لنفس الأحداث فى حياة المسيح بعد قيامته عند بولس ثم يقول بالحرف الواحد :«إن لوقا هو أكثر كتّاب الأناجيل الأربعة من حيث رفاهة الحس والميل إلى التأدب، إنه يتمتع بكل مقومات ومزايا الكاتب الروائى» .

الإنجيل وفقًا لرواية يوحنا

The Gospel According to John

يختلف إنجيل يوحنا اختلافا جذريا عن الأناجيل الثلاثة الأخرى ، وهو اختلاف كبير فعلا لدرجة أن الأب روچيه فى كتابه المعنون بعنوان : «مقدمة إلى الإنجيل» بعد أن فرغ من تعليقه على الأناجيل الثلاثة الأخرى قد قدم لنا على الفور تعليقا مدهشا عن هذا الإنجيل الرابع وهو إنجيل يوحنا فقال عنه :«إنه عالم آخر a different world» . وإنجيل يوحنا بالفعل إنما هو كتاب فريد فى نوعه aunique book وهو مختلف عن غيره من الأناجيل فى أسلوبه style ومختلف عن غيره فى جغرافيته وتضاريسه وأزمنة أحداثه ، وهنالك وجوه لاختلافه فى الأمور اللاهوتية كما لاحظ ذلك أ.كولمان . إن أقوال المسيح تساق فى إنجيل يوحنا بشكل مختلف عن سياقها فى

الأناجيل الأخرى . ويلاحظ الأب روچيه فى هذا الصدد أنه على حين تساق أقوال المسيح فى الأناجيل الأخرى بأسلوب فية كثير من التقريع شأن النصوص المنقولة شفهيا نجد أن كل شىء فى رواية إنجيل يوحنا لأقوال المسيح يبدو وليدا لتأمل عميق لدرجة أننا يمكن لنا أن نتساءل : هل المسيح نفسه هو الذى يتحدث أم أن أقواله قد صقلت بطريقة غير محسوسة وامتزجت بها تأملات يوحنا، كاتب هذا الإنجيل المعروف باسمه وقد مزج أقوال المسيح ومطها بإضافة أفكاره الخاصة إليها ؟

من هو مؤلف الإنجيل المعروف باعتبار أنه إنجيل يوحنا ؟

هذه المسألة إنما هى موضع مناقشات كثيرة ، وقد ظهرت بشأنها آراء شديدة التنوع .

والأب روچيه إنما هو واحد من أولئك الذين لا يساورهم أى شك فى أن يوحنا ، كاتب إنجيل يوحنا إنما هو أحد شهود العيان الذين شاهدوا وعاينوا أفعال وأقوال المسيح ، إذ أنه هو «يوحنا بن زبدى» أخو «چاك Jacque» وهو الحوارى المشهور ، صياد السمك، كما ورد ذكره كثيرا فى كثير من الكتب الشائعة ، وتصوره الأيقونات الشعبية واقفا بجوار المسيح كما هو الشأن فى اللوحة المرسومة للعشاء الأخير قبل أن تتفاقم الآلام .. ومن ذا الذى لا يتخيل أن إنجيل يوحنا قد كتبه هذا اليوحنا بن زبدى ، حوارىّ المسيح ، المعروف جدا لدى العامة من أفراد الشعب المسيحى على توالى العصور ؟ إن التحرير المتأخر لهذا الإنجيل الرابع المعروف باعتبار أنه إنجيل يوحنا وثبوت أنه قد تمت كتابته فى نهاية القرن الأول بعد الميلاد تقريبا لا يشكل عقبة تقوض هذا الاعتقاد ، وإن تحديد تاريخ كتابة إنجيل يوحنا باعتبار أنه قد كتب بعد ستين عاما بعد المسيح إنما هو أمر يتفق مع وجود حوارى كان صغير السّن إبان حياة المسيح وعاش ما يقارب قرنا من الزمان فى نظر من يعتقدون أن يوحنا بن زبدى هو كاتب الإنجيل الرابع المعروف باسم إنجيل يوحنا .

إن الأب كانينجسر ، فى دراسته عن القيامة ، قيامة المسيح من بين الأموات، يصل إلى نتيجة أنه ليس هنالك كاتب من أصحاب الأناجيل يستطيع أن يعتبر نفسه شاهدا معاينا لقيامة المسيح من بين الأموات فيما عدا[1] بولس . وبرغم ذلك نجد أن يوحنا فى الإنجيل المنسوب إليه ينسب لنفسه صفة كونه شاهدا معاينا لقيامة المسيح ، ونجد أن يوحنا أيضا يقص قصة ظهور المسيح بعد قيامته من بين الأموات أمام الحواريين كما لوكان واحدا منهم عندما كانوا مجتمعين بالحجرة العلوية ، وذلك بالأصحاح رقم(٢٠) : ١٩-٢٤ وكذلك هو الشأن عند ظهوره مرة أخرى بعد ثمانية أيام للحواريين مكتملى العدد[2] .

---

(١) زعم بولس أنه سمع صوت المسيح وهو فى طريقه إلى دمشق وليس سماع صوت المسيح كما زعم بولس مشاهدة من جانب بولس لقيامة المسيح من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال من دفنه فى قلب الأرض ، إن بولس لم يشهد هو الآخر قيامة المسيح من بين الأموات . وسماع صوت المسيح بعد زمان طويل من انقضاء الأيام الثلاثة والليالى الثلاث شىء آخر تماما . (المترجم) .

(٢) بمراجعة النص المذكور نجد أنه ليس فيه أبدا ما يقطع أن كاتب إنجيل يوحنا كان معاينا لظهور المسيح بعد قيامته المزعومة . وإنه يتحدث ليقدم وصفا لدخول المسيح إلى حيث كان يجلس الحواريون ويمكن أن يكون هذا الوصف قد بلغه بالتواتر ، وليس فى =

إن أ. كولمان فى كتابه عن العهد الجديد لايقطع برأى فى موضوع صحة نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا بن زبدى .

والترجمة المسكونية للإنجيل تقرر أن غالبية النقاد لايوافقون على الافتراض القائل بأن الإنجيل الرابع تصح نسبته إلى يوحنا بن زبدى وإن كانت هذه النسبة احتمالا[1] غير مستبعد تماما . وتقرر الترجمة المسكونية للإنجيل أن كل شيء يدل على أن النص المنشور حاليا باعتبار أنه الإنجيل الرابع أو إنجيل يوحنا إنما ينتمى إلى أكثر من كاتب واحد . وتقول الترجمة المسكونية بالحرف الواحد أيضا :«ويُحتَمَلُ أن هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا بشكله الذى نجده عليه اليوم قد كُتِبَ ونُشِرَ بواسطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا الأصحاح رقم (٢١) كما أضافوا بعض الحواشى (مثل٤ ، ٢ وربما أضافوا ٤ ، ١ ، ٤ ، ٤٤ ، ٧ ، ٣٧ ب ، ١١ ، ٢ ، ١٩ ، ٣٥) . أما ما يختص بشأن المرأة الزانية (الأصحاح ٧ :٥٣ إلى الأصحاح ٨ :١١) فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا النص مجهول الأصل ، وتَمَّتْ إضافته فى زمن لاحق لظهور هذا الإنجيل (وإن ظل هذا النص المتعلق بالمرأة الزانية موجودا ومعترفا به فى إنجيل يوحنا) . إن الفقرة من ١٩ إلى ٣٥ تبدو وكأن عليها إمضاء شاهد عيان فى نظر أ . كولمان وهو الإمضاء الوحيد الصريح فى كل إنجيل يوحنا . ولكن علماء الكتاب المقدس يجمعون على أنها فقرة مضافة إلى إنجيل يوحنا دون أى شك فى ذلك .

ويعتقد أ . كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة فى هذا الإنجيل كما هو الحال فى الأصحاح الحادى والعشرين الذى يُعْتَقَدُ أنه «قد كتبه أحد التلاميذ وقد أضاف أيضا بعض اللمسات إلى نص الإنجيل» .

ودون أن نعرض بالذكر لكثير من الافتراضات الأخرى التى قدمها المفسرون بشأن الكاتب الحقيقى لإنجيل يوحنا نجد أن أهم هذه الآراء بشأن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع تشير إلى وجود غموض وخلط فيما يتعلق بشأن حقيقة منشئ هذا الإنجيل .

إن القيمة التاريخية لنصوص إنجيل يوحنا موضع نزاع كبير وفيها وجهات نظر كثيرة . إن أوجه الخلاف والتعارض بينه وبين الأناجيل الثلاثة الأخرى كثيرة وواضحة . ولكننا نجد أ . كولمان يحاول تعليل ذلك . إنه يعترف أن ليوحنا أهدافا لاهوتية تختلف عن أهداف كُتَّابِ الأناجيل التى

= النص ما يحتم وجود يوحنا كاتب الإنجيل ضمن الحواريين لو لم يكن هو يوحنا بن زبدى ، والأرجح أنه ليس يوحنا بن زبدى صياد السمك الأمى الذى لم يكن يجيد الكتابة باللغة اليونانية . (المترجم) .

(١) لماذا الارتياب وإنجيل يوحنا مكتوب باللغة اليونانية وبأسلوب راق ملتزم بأصول وقواعد اللغة اليونانية يجمع كل النقاد على بلاغته وهو أمر غير متاح ليوحنا بن زبدى ، صياد السمك الذى تصفه «أعمال الرسل» بأنه كان قليل المعرفة ؟ كيف يتسنى لصياد سمك الكتابة باللغة اليونانية الخالية من الأخطاء والمتسمة بالبلاغة وبطابع فلسفى واضح منذ أول جملة فيه تقول : «فى البدء كان الكلمة» واصطلاح الكلمة اصطلاح فلسفى معروف مستمد من فلسفة هرقليطس إذ إن المقصود بالكلمة هو«اللوجوسLogos » أى العقل الذى ينظم كل شيء فى الوجود ؟ (المترجم) .

سبق ظهورها[1] إنجيل يوحنا . وهذه الأهداف هى التى تقود اختيار روايات أقوال المسيح -Lo gia على نحو مختلف بين مختلف الأناجيل كما أنها قد شكلت الطريقة التى تم نقل أقوال المسيح من خلالها ، وهكذا نجد أن منشئ أحد الأناجيل يستطرد ويستفيض فى الكتابة ويضع على لسان المسيح ما أنزله الروح القدس على منشئ هذا الإنجيل أو ذاك مما لم يجرِ به فى حقيقة الأمر لسان المسيح ، وذلك هو السبب فى عدم الاتفاق بين الأناجيل فيما ترويه على لسان المسيح وفقًا لرأى أ.كولمان .

ولا ريب فى أن يوحنا وقد شرع فى إنشاء إنجيله بعد الأناجيل الثلاثة السابقة كان يستطيع أن يختار بعض الروايات التى تصور معتقداته الشخصية بشكل أوفى وأوضح . ولايلزم أن نندهش عندما لا نجد فى إنجيل يوحنا كل أقوال المسيح الموجودة فى الأناجيل الثلاثة السابقة ، والترجمة المسكونية تقدم أمثلة لكثير من الأقوال التى ذكرت الأناجيل الأخرى أن المسيح قد قالها وأهملها ولم يذكرها يوحنا فى الإنجيل المنسوب إليه وذلك بالصفحة (٢٨٢) وما بعدها . ولكن وجود بعض الثغرات هو الذى يثير الدهشة ، ولايكاد بعضها أن يكون معقولا كما هو الشأن بصدد القربان المقدس أو الأفخارستيا إذ كيف يمكن لنا أن نتصور أن يوحنا الذى يغلب على كتابه البلاغة والطابع الفلسفى لا يتحدث عن هذا الموضوع الحيوى الرئيسى الذى يعتبر ركنا أساسيا من أركان الطقوس المسيحية فى كل قدّاس مسيحى يتم فى كل كنيسة ؟ إن يوحنا يكتفى هنا فى وصفه للعشاء الأخير بوصف قيام المسيح بغسل أقدام الحواريين والتنبؤ بخيانة يهوذا الأسخريوطى وكيفية إنكار بطرس للمسيح .

وعلى العكس من ذلك نجد أنه كما أن يوحنا قد أغفل بعض الأقوال والأفعال المنسوبة إلى المسيح نجد أنه قد أضاف روايات لم يرد لها ذكر فى الأناجيل الثلاثة السابقة . والترجمة المسكونية للعهد الجديد تشير إلى ذلك بالصفحة رقم (٢٨٣) وما بعدها . وربما يقول قائل : إن مؤلفى الأناجيل الثلاثة الأخرى لم يروا هذه الوقائع التى انفرد بذكرها إنجيل يوحنا ورآها يوحنا وحده ، ولكن كيف لا نندهش عندما يصف يوحنا نفسه ظهور المسيح للحواريين عند بحيرة طبرية بعد أن قام من بين الأموات ولم يكونوا يجدون سمكا يصطادونه حتى أمرهم المسيح بالصيد من مكان معين[2] فوجدوا سمكا كثيرا كما تطالعنا بذلك بداية الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل

---

(١) ليس فى الأناجيل الثلاثة السابقة فى الظهور على إنجيل يوحنا جملة واحدة يقول فيها المسيح عليه السلام : «أنا إله » أو «أنا الله» أو يقول فيها المسيح للناس «اعبدونى» وعندما أراد أباطرة الرومان تأليه المسيح فيما يعرف بالمذهب الملكانى ، أفزعهم عدم وجود نص صريح بالأناجيل الثلاثة يفيد ألوهية المسيح ، فكلفوا شخصا يونانيا متعلما بليغا بكتابة إنجيل رابع يصرح فيه بألوهية المسيح ، فكان هذا الإنجيل الرابع . وعندما يطالب المسيحيون بالعثور على نص بالعهد الجديد يفيد ألوهية المسيح يهرعون إلى إنجيل يوحنا وحده دون غيره مثل النص القائل :«أنا والآب واحد» مع أنه لا يدل دلالة حاسمة على ألوهية المسيح إذ إن التوحد هو توحد فى القصد والهدف كما تقول لصاحبك أنا وأنت واحد . (المترجم) .

(٢) إن تعليل إضافة يوحنا لبعض الأقوال والأحداث التى ينسبها إلى المسيح ولم يرد لها ذكر فى الأناجيل الأخرى بأن يوحنا قد شهدها ولم يشهدها الآخرون تعليل واه إذ أن يوحنا ينفرد بذكر وقائع يقول هو نفسه إنه لم يكن منفردا بالمسيح عند وقوعها . (المترجم) .

يوحنا وهو مالم يردْ له ذكر فى إنجيل آخر ؟ (يوحنا ٢١ : ١-١٤) .

وليست هذه الرواية فى بداية الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل يوحنا إلا نقلاً مع كثير من الإضافات من معجزة الصيد التى رواها إنجيل لوقا (الأصحاح ٥ : ١-١١) ولكن كحادثة وقعت فى حياة المسيح قبل محاولة صلبه وقبل الزعم بقيامته من الأموات ولقد أشار لوقا إلى وجود يوحنا بن زبدى فى هذه الحادثة . إن وجود هذه الحكاية عن صيد السمك فى إنجيل يوحنا بالأصحاح (٢١) مع اتفاق الجميع على أنها إضافة لاحقة يجعل من اليسير أن نتصور أن مجرد ذكر اسم يوحنا فى رواية لوقا يدفع بعض الناس إلى تصور أن يوحنا بن زبدى الذى كان موجودا مع المسيح فى هذه الحكاية هو صاحب إنجيل يوحنا . ولذلك لم يتردد الشخص الذى أضاف الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل يوحنا فى تحويل حَدَثٍ وقع فى حياة المسيح قبل محاولة صلبه إلى حدث وقع - فيما تصور - بعد محاولة الصلب[1] وبعد قيامة المسيح .

وهنالك أيضا تناقضات أخرى على جانب كبير من الأهمية بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى . هنالك مثلا التناقض المتعلق بالفترة الزمنية لبعثة المسيح : يحددها مرقس ومَتّى ولوقا بمدة عام واحد . وتمتد عند يوحنا إلى عامين ، ولقد أشار أ. كولمان إلى هذا التناقض . وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد عن هذا التناقض ما نصه : «على حين تحدثنا الأناجيل الثلاثة باتفاق عن فترة من الزمن قضاها المسيح بالجليل ثم كانت مسيرته نحو الناصرة ثم فترة أخرى قصيرة بالقدس نجد أن يوحنا يحدثنا عن انتقالات أخرى متعددة للمسيح لم يرد ذكرها بالأناجيل الثلاثة الأخرى ويحدثنا عن مدة أكثر طولا بالناصرة وبالقدس على وجه خاص (١ :١٩ - ٥١ ، ٢ : ١٣ ، ٣ : ٣٦ ، ٥ : ١ ، ٦ : ٤ ، ١١ : ٥٥) وهو بهذا يوحى بأن بعثة المسيح قد امتدت أكثر من عامين» .

من نصدق فى ظل هذه التناقضات فى هذه الأمور الهامة ؟ هل نصدق مَتّى؟ أم نصدق مرقس؟ أم نصدق لوقا ؟ أم نصدق يوحنا ؟

---

(١) يقول كاتب الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل يوحنا : «هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات» (يوحنا ٢١ : ١٤) هذا بينما يجعل لوقا نفس الحكاية عن صيد السمك فى حياة المسيح قبل محاولة الصلب . وذلك بالأصحاح الخامس من إنجيل لوقا . نصدق من ؟ ونكذب من؟ (المترجم) .

مصادر الأناجيل

Sources of the Gospels

إن الخطوط العامة التى أوضحناها فيما سبق بعد أن استخلصناها من الفحص النقدى لنصوص الأناجيل تفضى بنا إلى أن نعتقد أن هذه النصوص بتلك الأناجيل إنما هى من الكتابة الأدبية الإنشائية literature «المفككة المفتقرة إلى الحبكة الدقيقة لتصل إلى الاكتمال ، ويبدو عليها سمات التناقضات الواضحة» وهذه هى الأوصاف المستخدمة بالطبعة المسكونية للعهد الجديد . وهى الطبعة التى يهمنا الرجوع إليها فى هذا الصدد حيث إن نتائج بحث هذا الموضوع إنما هى نتائج جد خطيرة . ولقد رأينا أن بعض المعلومات عن تاريخ ميلاد الأناجيل يعطينا بوضوح السمات الأساسية لهذه النصوص الموجودة بكل منها مِمَّا يفضى بالقارئ لنصوصها إلى كثير من البلبلة ، ومن الضرورى عدم الاكتفاء بهذه الملاحظة ، ومن اللازم أن نمضى قُدُمًا لنطلع على الدراسات والأبحاث التى تم نشرها فى العصر الحديث عن المصادر التى استمد منها أصحاب الأناجيل نصوص كل منها لاستخلاص النتائج التى أمكن الوصول إليها فى عصرنا الحديث .

لقد تعامل آباء الكنيسة مع مصادر كل إنجيل من الأناجيل بمنتهى البساطة دون بحث كاف أو تمحيص دقيق . وفى القرون المسيحية الأولى كان المصدر الوحيد المتاح لنصوص العهد الجديد يتمثل فى المخطوطات التى وجدت أولا مثل نصوص إنجيل مَتَّى . وكان الاهتمام بمصادر النصوص يتم بحثه فقط بالنسبة لنصوص إنجيل مرقس وإنجيل لوقا[1] أما إنجيل يوحنا فهو يُشَكِّلُ حالة فريدة قائمة بذاتها دون مثيل ، وكان القديس أوغسطين Saint Augustine يعتقد أن مرقس الذى يعتبر من الجيل التالى لجيل الحواريين قد اقتبس نصوص إنجيله عن إنجيل مَتَّى وأن مرقس إنما قام بتلخيص نصوص إنجيل مَتَّى فى الإنجيل المنسوب إلى مرقس . والقديس أوغسطين يعتبر أيضا أن إنجيل لوقا الذى يعتبر من الجيل الثالث بالنسبة إلى الحواريين قد استمد معلوماته من إنجيل مَتَّى ومن إنجيل مرقس كليهما . إن أقوال القديس أوغسطين تعطينا هذا الانطباع عن الأناجيل الثلاثة كما أشرنا إليه .

إن علماء الكتاب المقدس فى العصر الحديث يستطيعون -كما نستطيع نحن أيضا - أن يجدوا وُجُوهًا من الاتفاق بين اثنين أو بين ثلاثة من الأناجيل فى بعض الروايات لبعض الأحداث ويجملها محررو الترجمة المسكونية للعهد الجديد كما يلى :

- نصوص مشتركة بين ثلاثة أناجيل (متى ومرقس ولوقا) =٣٣٠ .

---

(١) لم يكن لوقا مثلا من الحواريين ، فبرز التساؤل عن المصدر أو المصادر التى اعتمد عليها فى كتابة الإنجيل المنسوب إليه . (المترجم) .

-نصوص مشتركة بين إنجيل مرقس وإنجيل متى = ١٧٨ .

- نصوص مشتركة بين إنجيل مرقس وإنجيل لوقا = ١٠٠ .

- نصوص مشتركة بين إنجيل متى وإنجيل لوقا = ٢٣٠ .

ويستخلصون أيضا أن النصوص غير المشتركة لكل منهم على حدة هى :

- متى = ٣٣٠ نصاً .

- مرقس = ٥٣ نصا .

- لوقا = ٥٠٠ نصٌ .

ومنذ عصر الآباء الأوائل للكنيسة ، وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، انقضى ألف وخمسمائة عام دون إثارة مشاكل جديدة بشأن مصادر الأناجيل . لقد كان الامتثال للنصوص والقبول بها سائدا ، وفى العصر الحديث فقط ، ومع ظهور معالم القراءة النقدية ظهرت التناقضات التى أشرنا إليها وأدركنا أن كل واحد من أصحاب الأناجيل المعروفين قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهات نظرة الشخصية وميوله مع الاعتماد على المعلومات التى وجدها عند الآخرين .

"Each Evangelist had taken material found in the others and compiled his own specific narration guided ly his awn personal views."

وعندئذ اهتم الباحثون اهتماماً كبيرا بجمع التراث الشفهى للطوائف الأصلية من جهة، واهتموا بالرجوع إلى المصدر المكتوب باللغة الآرامية مما أمكن العثور عليه من جهة أخرى . وربما كان هذا المصدر الآرامى المكتوب يشكل المادة الخام المكونة من مقتطفات شتى ربما يكون بعضها قد اعتمد عليه كاتب هذا الإنجيل ، كما اعتمد كاتب إنجيل آخر على مقتطفات أخرى فى كتابة نصه الأصلى فى الإنجيل المنسوب إليه .

ومنذ قرن تقريبا ، توصلت أبحاث أكثر تدقيقا إلى نظريات أكثر دقة وأكثر تعقيداً مع مرور الأيام . وأول وأقدم هذه النظريات هى النظرية المعروفة باعتبار أنها نظرية المصدرين لدى هولتزمان Holtzmann(١٨٦٣) ووفقا لهذه النظرية كما أشار إليها أ . كولمان وأشارت إليها الترجمة المسكونية للعهد الجديد نجد أن متّى ولوقا قد اقتبسا فى إنجيل كل منهما من نصوص إنجيل مرقس كما أنهما اعتمدا على نص لم يتم اكتشافه حتى اليوم من جهة أخرى .

ويضاف إلى ذلك أيضا أن متّى ولوقا كانت لدى كل منهما مصادره الخاصة أيضا . وقد أفضت هذه النظرية إلى ظهور الرسم البيانى التوضيحى التالى تعبيرا عن نظرية هولتزمان هذه كما يلى :

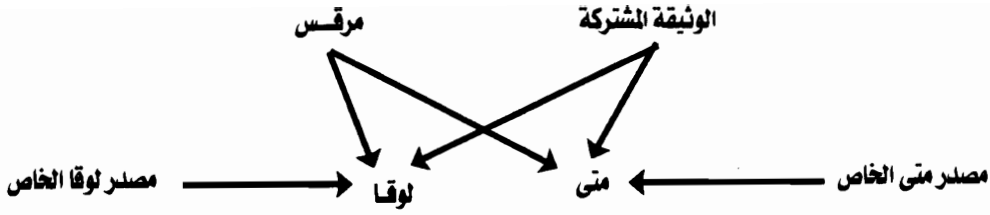

وينتقد أ.كولمان نظرية هولتزمان هذه على النحو التالى:

١- من الضرورى أن يكون النص الذى اقتبس منه كل من لوقا ومتّى نصا سابقا على نص إنجيل مرقس .(كان متّى من الحواريين ولم يكن مرقس من الحواريين) .

٢- لا تعطى هذه النظرية أهمية كافية للتراث الشفهى حيث إنها تنحصر فى نطاق الاقتباس من نص مكتوب لدى مرقس ، على حين أن التراث الشفهى هو المصدر الأول الذى حفظ تراث المسيح طيلة ثلاثين أو أربعين سنة (حتى بدء ظهور أول إنجيل مكتوب) . ولم يكن صاحب أى إنجيل إلا معبرا عن آراء الطائفة المسيحية التى كان ينتمى إليها .

أما أحدث النظريات فى مجال نقد النصوص الموجودة بالأناجيل فقد أوضحت أن هذه المسألة إنما هى أكثر تعقيدا إذا تطلعنا مقدمة طبعة الأناجيل الأربعة المتوافقة للأب بينوا Benoit والأب بومار Boismard بمعهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢-١٩٧٣) أن نصوص الأناجيل قد تطورت فى مراحل متعددة تبعا لتطور التراث . وقد أدى هذا التطور إلى نتائج عرضها الأب بينوا فى تقديمه للجزء الذى حرره الأب بومار فى الكتاب المشار إليه بقوله : «إن أشكال وأنماط النصوص فى الأناجيل إنما نتجت عن تطور طويل للتراث، وهى فى تطورها هذا لاتتمتع بصحة وعفوية وتلقائية الأقوال والروايات التى استمدّت منها فى التراث الشفهى . وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب ، وقد يشعر بعد القراء بالحرج عندما يجد أن قولا منسوبا إلى المسيح ، أو رواية عن بعض أفعاله أو تقريرا بشأن مصيره موجود فى التراث الشفهى على نحو مغاير لما يقرؤه اليوم فى الأناجيل إذ إن أولئك الذين نقلوا الكلام إلينا فى الأناجيل قد أجروا عليه وأدخلوا فيه لمسات وتعديلات . إن أولئك الذين لم يعتادوا هذا النوع من التمحيص التاريخى لنصوص الكتاب المقدس يجدون هنا مصدرا للدهشة التى تصل أحيانا إلى حد الاستنكار» إن هذه اللمسات وتلك التعديلات التى أشار إليها الأب بينوا ، والتى مارسها أولئك الذين كتبوا ونقلوا نصوص الأناجيل إلينا قد شكلت تداخلا فى الروايات عبر عنه الأب بومار برسم بيانى فيه تطوير لنظرية المصدرين ولقد أنجز الأب بومار هذا الرسم البيانى بعد كثير من التمحيص والفحص والتدقيق ومقارنة بين نصوص الأناجيل بشكل يستحيل علينا تلخيصه . وإذا أراد القارئ المهتم الحصول على تلك

التفاصيل فهو يستطيع الرجوع إلى الكتاب المعنون بعنوان «الأناجيل الأربعة المتوافقة» وقد قامت دار نشر «سيرف» بباريس بطبعه ونشره .

وخلاصة القول فى هذا الصدد هو أن هنالك أربعة مصادر أساسية يمكن الرمز إليها بالحروف (ا،ب،ج،ق) وهى تمثل المصادر الأصلية للأناجيل .(انظر الرسم البيانى التالى) .

– الوثيقة (أ) وثيقة ترجع إلى الأوساط اليهودية المسيحية وهى الوثيقة التى اعتمد عليها كل من متّى ومرقس .

– الوثيقة (ب) فيها شروح وتفسير لمحتويات الوثيقة (أ) وقد استخدمتها الكنائس الوثنية المسيحية وقد اعتمد عليها كتاب الأناجيل باستثناء إنجيل متّى .

– الوثيقة (ج) اعتمد عليها كل من مرقس ولوقا ويوحنا .

– الوثيقة (ق) تشير إلى المصادر الشائعة بين كل من مَتّى ولوقا . وهى تعتبر «الوثيقة المشتركة» التى تشير إليها نظرية المصدرين التى سبق لنا أن أشرنا إليها .

ولم يؤد أى مصدر من هذه المصادر بمفرده إلى تحرير نصوص الأناجيل الموجودة بين أيدينا اليوم . إن بين هذه المصادر وبين التحرير النهائى لنصوص كل من الأناجيل المعروفة لدينا نصوصا وسيطة ظهر أثرها فى صياغة كل إنجيل من الأناجيل المعروفة عندنا اليوم . ولابد من الرجوع إلى الرسم البيانى التالى ليمكن لنا متابعة الشبكة المعقدة التى اكتشف المؤلفان خيوطها .

والنتائج التى توصل إليها مؤلفا الكتاب المشار إليه نتائج فى غاية الأهمية . إنهما قد تمكنا من إثبات أن نصوص الأناجيل إنما وصلت إلينا بعد خضوعها لعمليات تطور ذى مراحل تاريخية . إن هذه النصوص لا تحظى بأن لها تاريخا فحسب بل تتميز بأن لها «تاريخا لما قبل التاريخ» ، ولو استخدمنا نص تعبير الأب بومار :

They show how the Gospel texts not only have a history (to be discussed later) but also "a pre-history".

ومعنى ذلك أن نصوص الأناجيل قبل ظهورها فى صيغتها الموجودة بين أيدينا اليوم قد خضعت لتعديلات فى مرحلة الوثائق الوسيطة ، ومن ذلك يتضح لنا السبب فى أن حكاية معروفة شهيرة مثل حكاية معجزة صيد سمك كثير بعد أن كان الصيادون قد يئسوا من وجود سمك؛ يقدمها لنا إنجيل لوقا باعتبارها حدثا وقع فى حياة المسيح ، على حين يقدمها لنا يوحنا باعتبار أنها حدث من حوادث ظهور المسيح للحواريين بعد قيامته كما سبق أن أشرنا إلى ذلك بشىء من التفصيل .

م.ا . بومار فس كتابه

الأناجيل الأربعة ذات الاتساق

الرسم البياني العام

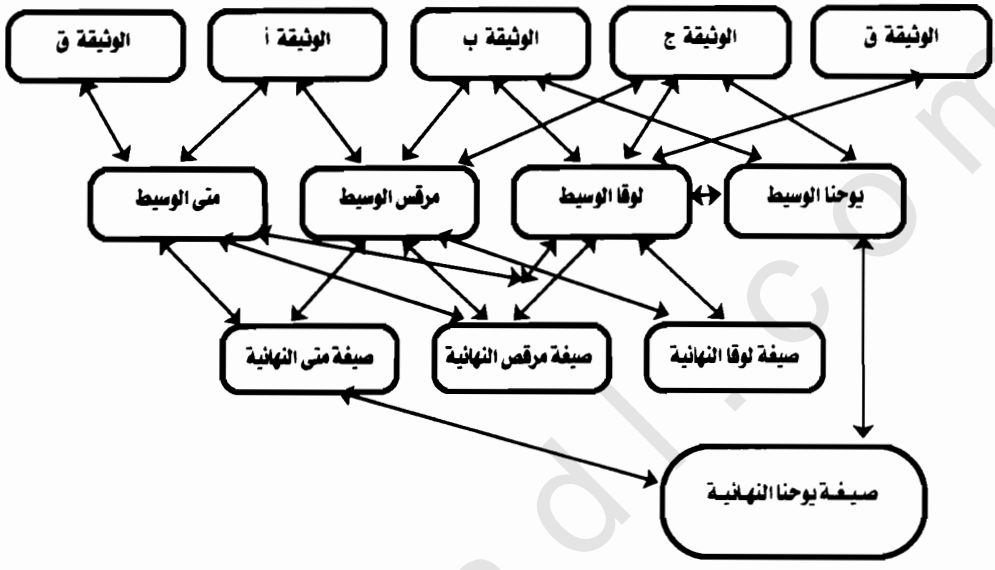

ومنه يتضح ما يلى :

– الوثائق ا،ب،ج،ق : وثائق أساسية تم استخدامها فى الصياغة النهائية لنصوص الأناجيل .

– الوسيط : وثائق تم استخدامها فى الصياغة الوسيطة التى سبقت الصياغة النهائية لنصوص الأناجيل .

obeikandl.com

تاريخ النصوص

History of the texts

يخطئ من يعتقد أن الأناجيل بمجرد تحريرها كانت تشكّلُ الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية[1] الوليدة ، أو أن المسيحيين الأوائل قد اعتمدوا على الأناجيل ككتب مقدسة مثلما كانوا يعتمدون على العهد القديم أو التوراة. وكانت نزعة التجديد فى اليهودية تعتمد فى ذلك الوقت على نصوص التوراة بالإضافة إلى التراث الشفهى الذى كان يتضمن أقوال المسيح وتعاليم حواريه من بعده . وأول من ساد فى هذا الصدد هو كتابات بولس قبل ظهور الأناجيل بحيث إن المرء يتساءل : ألم تكن هنالك أى أناجيل مكتوبة قبل كتابات بولس بعشرات السنين ؟

ولقد لاحظنا أنه قبل سنة ١٤٠ بعد الميلاد لم يكن هنالك ما يدل على وجود الكتابات الإنجيلية المعروفة على العكس مما يكتبه بعض الباحثين حتى اليوم . لقد كان من الضرورى أن ينتظر المسيحيون حتى عام ١٧٠ بعد الميلاد حتى تكتسب الأناجيل صفة النصوص المقدسة المعترف بها لدى الكنائس .

كان هنالك تداول لكثير من الكتابات عن المسيح فى العصور الأولى للمسيحية ، غير أنه لم يتم الاعتراف الرسمى من جانب الكنيسة بكل تلك الكتابات باعتبارها كتابات صحيحة موثوقا بصحتها ، ولقد أوصت الكنيسة بإخفاء كثير من هذه الكتابات ومن هنا جاءت تسمية الأناجيل المزورة Apocrypha وإن بقى من هذه الأناجيل التى دمغتها الكنيسة باعتبار أنها أناجيل مزورة بعض الأناجيل ظلت متداولة لأنها كانت تتمتع (بالتقدير العام generally valued لدى طوائف شعبية من المسيحيين الأوائل على حد قول الترجمة المسكونية للعهد الجديد ، ومن ذلك إنجيل برنابا Barnabas ولكن هنالك أناجيل أخرى تم استبعادها بشكل حاسم وعنيف ، ولم يتبق منها إلا شذرات، واجتهدت الكنيسة فى ملاحقتها للقضاء عليها لأنها من وجهة نظر الكنيسة كانت تتضمن كثيرا من الأخطاء العامة المؤثرة على الناس . وعلى الرغم من كل جهود الكنيسة فى هذا الصدد ظلت أناجيل معينة تحظى بقسط كبير من الانتشار والذيوع بين المسيحيين الأوائل مثل : إنجيل الناصرة وإنجيل العبرانيين وإنجيل المصريين ، وهى أناجيل ظلت مشهورة للإشارات المتعددة إليها من جانب آباء الكنيسة ولوجود أناس كثيرين يعتدّون بها ويؤمن بمصداقيتها الغالبية العظمى من هذا الشعب أو ذاك ، وهو الشأن الذى ينطبق أيضا على إنجيل توما وإنجيل برنابا .

---

(١) كان المسيحيون الأوائل دون ريب يعتبرون أنفسهم «يهودا» لهم فهمهم الخاص بهم الصحيح من وجهة نظرهم للعقيدة وللشريعة اليهودية وفقا لتوجيهات المسيح وإرشاداته . كيف لا و المسيح نفسه ما جاء لينقض الناموس أو التوراة بل ليتممه بتصويب ماحرفه وأساء فهمه اليهود ؟ كيف لا وقد صرح بولس عندما ثار عليه زملاؤه لإباحته عدم الختان بأنه يهودى فريسى . وليس عجيبا أن تظل التوراة بعد سيدنا عيسى كتابا مقدسا لدى أتباعه .(المترجم) .

إن بعض هذه الكتابات والنصوص التى اعتبرها آباء الكنيسة نصوصا مزورة تحتوى بالفعل على تفاصيل خرافية أفرزها الخيال الشعبى ، ولذلك نجد أن بعض علماء الكتاب المقدس يعرضون وهم فى غاية الاغتباط مقاطع ونماذج عديدة من هذه النصوص التى تدعو تفاصيلها حقا إلى السخرية. ومن المدهش أننا نجد فقرات من هذا النوع الخرافى لاتزال موجودة فى الأناجيل المعترف بها من جانب الكنيسة . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ذلك الوصف الخرافى للأحداث[1] التى يدعى متّى فى إنجيله أنها قد حدثت عند موت المسيح فيما زعم متّى . وبناء على ذلك فإننا نجد فقرات لا تزال موجودة بالعهد الجديد تفتقر إلى الواقعية والمعقولية والجدية فى كل كتابات العصر المسيحى الأول ، ومن الضرورى أن يتحلى علماء الكتاب المقدس بالشجاعة الكافية لكى يحوزوا شرف الاعتراف بهذه الحقيقة .

ولقد أفضت كثرة الروايات المتناقضة عن المسيح إلى أن تستبعد الكنيسة منذ قيام كيانها كثيرا من النصوص المتعلقة بالمسيح . وربما يصل عدد الأناجيل التى تم استبعادها مئة إنجيل ! وتم الاعتراف بأربعة أناجيل فقط لتكون ضمن العهد الجديد ، وهى التى تشكل ما يسمى بالكتب المعترف بها من جانب الكنيسة : Canon .

وفى منتصف القرن الثانى بعد ميلاد المسيح ، دفع مارسيون Marcion السلطات الكنسية بحزم وصرامة نحو رفض نصوص التوراة ونحو عدم التقيد بها فيما يتعلق بعقائد الإيمان المسيحى إذ كان مارسيون خصما وعدُوًّا لدوداً لليهود وللممارسات اليهودية التى تهتم بقشور ومظاهر التدين ، كما أن مارسيون لم يعترف إلا بإنجيل لوقا لأن لوقا فى رأى مارسيون كان هو المتحدث باسم بولس والأمين على كتابات وتعاليم بولس .

ولم ترتض سلطات الكنيسة إبان نشاط مارسيون فى ترويج اتجاهه هذا مسلك مارسيون. اعترفت سلطات الكنيسة آنذاك بكل كتابات بولس ، ولكنها اعترفت أيضا بالأناجيل الأخرى ، إنجيل متّى، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ، كما ألحقت بالعهد الجديد أيضا بعض الكتابات الأخرى مثل «أعمال الرسل» . وكانت القائمة الرسمية للكتابات المعتمدة لدى الكنيسة تتغير وتتبدل وتتسع أحيانا وتضيق فى أحيان أخرى فى القرون الأولى من العصر المسيحى . وهنالك أناجيل كانت تعتبر ضئيلة القيمة أو مزورة وكانت تمثل مكانا مؤقتا فى قائمة الأناجيل المعتمدة حتى يتم التنبيه فى مؤتمر على أنها مزورة ، وبعض الأناجيل التى لاتزال موجودة فى العهد الجديد كانت مستبعدة فى بعض الأوقات ثم أعيدت ، ولقد استمر هذا التذبذب بين اعتماد بعض الأناجيل أو استبعادها حتى انعقد مجمع هيبون المسكونى فى عام ٣٩٣ بعد الميلاد ثم مجمع

(١) «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت والصخور تشققت . والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسيين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة ..إلخ» (متى ٢٧ :٥١-٥٦) .

قرطاجنة المسكونى فى عام ٣٩٧ بعد الميلاد . وظلت الأناجيل الأربعة المعروفة موجودة بالعهد الجديد .

ولانملك فى الوقت الحالى إزاء الأناجيل التى لم يتم الاعتراف بها مما أفضى إلى ضياعها سوى الأسف مع الأب بومار . كانت أناجيل كثيرة ، وكانت لها قيمتها التاريخية، ولقد أعطاها الأب بومار مكانا لائقا وكمية مناسبة من الدراسة فى كتابه عن «الأناجيل الأربعة». ويلاحظ أن هذه الأناجيل كانت موجودة بمكتبات بعض الكنائس حتى نهاية القرن الرابع الميلادى .

لقد شهد هذا القرن الرابع الميلادى شيئا من التنظيم الجاد فيما يتعلق بنصوص الأناجيل والكتابات التى ينبغى أن يتضمنها العهد الجديد والأناجيل والكتابات التى ينبغى استبعادها وإخفاؤها والقضاء عليها . وترجع أقدم المخطوطات التى بحوزتنا فى هذا الصدد إلى هذا القرن الرابع الميلادى . ومن الوثائق السابقة على هذا القرن برديات يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى. وتوجد بردية يرجع تاريخها إلى القرن الثانى الميلادى ، ولكنها لايوجد بها إلا أجزاء غير مكتملة من بعض الأناجيل ، أما أقدم مخطوطتين من الرق (الجلد) فهما مخطوطتان يونانيتان مكتوبتان باللغة اليونانية يرجع تاريخ كل منهما إلى القرن الرابع الميلادى ، ،وهما الوثيقتان المعروفتان باسم الكودكس ڤاتيكانوس Codex Vaticanus والكودكس سينايتيكوس Codex Sinaiticus وأولاهما محفوظة بمكتبة الفاتيكان، ومكان اكتشاف الأولى مجهول ، أما الثانية فقد تم اكتشافها فى سيناء، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى وتتضمن الوثيقة الثانية نص إنجيلين من الأناجيل غير المعترف بصحتها .

وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد : إنه يوجد مائتان وخمسون مخطوطة أخرى معروفة يرجع آخرها إلى القرن الحادى عشر ، وتقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد بهذا الصدد أيضا : «وكل نسخ العهد الجديد التى وصلت إلينا ليست متطابقة بل على العكس من ذلك يمكن أن نميز فيها فروقا تختلف من حيث درجة الأهمية ، وعددها على أى حال كبير . وبعض هذه الاختلافات تتعلق بالنحو والصرف وتقديم أو تأخير الكلمات والعبارات فى الجمل والتراكيب اللغوية ، وفى بعضها الآخر اختلافات وتناقضات هامة تختلف فى المعنى فى فقرات بأكملها». وإذا أردنا أن ندرك هذه الاختلافات فيكفى الرجوع إلى العهد الجديد اليونانى Novum Testamentum Graece الذى أشرف على تحريره نستله وآلاند Nestle - Aland

وقامت بطبعه ونشره جمعية الكتاب المقدس فى لندن عام ١٩٧١ ، وهو كتاب يحتوى على نص يونانى يقال إنه «متوسط» وتشتمل هوامشه وحواشيه على كثير من أوجه الخلاف بين مختلف النصوص المتعلقة بالأناجيل .

إن مصداقية نص من النصوص بالغا ما بلغ احترام الناس لهذا النص قابلة دائما للنقاش (للتأكد

من مدى تحقيق المصداقية فى النص) . ومن هنا يجوز لنا مناقشة مدى مصداقية الوثيقة المعروفة كوديكس فاتيكانوس Codex Vaticanus كمجرد مثال . إن صيغتها عند إعادة الفاتيكان لطباعتها عام ١٩٦٥م يتصدرها تحذير للقارئ يفيد أنه «بعد مرر قرون عدة مضت من تحرير النسخة الأصلية (يعتقد أنها ترجع إلى القرن الحادى عشر) قام أحد النساخ بكتابة محتوى الوثيقة بالحبر فيما عدا حروف الكلمات التالفة أو الكلمات والعبارات التى رأى أنها خاطئة» . وبفحص الوثيقة بدقة أكبر نلاحظ أن بعض الألفاظ والعبارات فى النص الأصلى التى تم تغييرها أو حذفها عند تحرير النسخة الجديدة لايزال موجودا، وحروفه بنية اللون ، ويمكن رؤيتها بشكل واضح فى إصرار على البقاء مع مناقضتها لمجمل النص الذى أعيدت كتابته بالحبر البنى الغامق ومن ذلك يتضح أنه لا شىء يبث فى النفس الثقة بأن ترميم النص قد تم إجراؤه بأمانة . ويضاف إلى ذلك أننا نجد التحذير يقول أيضا ما نصُّه بالحرف الواحد كما يلى: «لم نتمكن حتى الآن من أن نميِّز بشكل نهائى حاسم مختلف الأشخاص الذين صححوا ورمموا المخطوطة ووضعوا عليها الحواشى عبر القرون . ولا شك أن عددا كبيرا من التصويبات قد تم إجراؤه عند الترميم».[1] وبالرغم من ذلك نجد أن كل المراجع الدينية المسيحية تقدم للناس هذه النسخة وتوهمهم أنها مخطوطة من القرن الرابع . ولابد من الذهاب إلى مصادر الفاتيكان حتى ندرك أن بعض الأشخاص قد حرفوا فى هذا النص بعد ذلك بقرون كثيرة .

وربما يحاول بعض الناس تدارك هذا القصور عندما يزعم بعض الناس أنه توجد «نصوص أخرى» تفيد وتحسم المقارنة عند الارتياب فى صحة ومصداقية نص من النصوص . ولكن هذا التبرير إنما هو جزء من صميم المشكلة إذ كيف يختار القارئ بين نصوص مختلفة متضاربة المعنى لتدارك التحريف الموجود فى أحد النصوص عندما تكون هذه «النصوص الأخرى» ذاتها متضاربة متناقضة ؟ من المتفق عليه أن وجود تحريف قديم أجراه أحد النُسَّاخ يمكن أن يفضى إلى وجود عديد من النصوص المعيبة وسنرى فيما بعد بوضوح أن كلمة واحدة فى إنجيل يوحنا هى كلمة Paraclet قد أفضى تحريف بسيط فى حروفها إلى تغيير جذرى فى معنى الفقرة كلها التى وردت فيها هذه الكلمة مما أدى إلى تغيير دلالة الفقرة كلها وقلب دلالتها رأسا على عقب من وجهة النظر اللاهوتية .

ونستطيع أن نتأمل فى هذا الصدد ما كتبه أ . كولمان فى كتابه المعنون بعنوان «العهد الجديد» إذ يقول :

«ربما تحدث أخطاء غير متعمدة فى حالات كثيرة كما هو الحال عندما يُسْقِطُ الناسخُ كلمة،

(١) يُفْهَمُ من ذلك أن وثيقة الكوديكس فاتيكانوس التى يقال إنها موجودة فى مكتبة الفاتيكان قد تطلبت إجراء عملية ترميم لها أى أن الكلمات التى كانت مكتوبة بحبر باهت فى سبيله إلى الاختفاء قد تعرض له خبراء ترميم الوثائق بمحاولة الترميم . ولم يكن هذا الترميم دقيقا ولا أمينا فيما يقول المؤلف للأسباب التى ذكرها . (المترجم) .

أو عندما يكرر الناسخ كلمة فيكتبها مرتين متتالتين ، أو عندما يسقط الناسخ سهوا عبارة أو جزءا من الجملة التى يحررها . وربما تحدث أخطاء متعمدة عن قصد وتصميم عندما يكون الناسخ قد سمح لنفسه بتغيير النص وفقا لأفكاره وآرائه ومعتقداته أو معتقدات جماعة ينتمى إليها أو وفقا لميوله الشخصية ، أو أن يحاول الناسخ التوفيق بين النص الذى يحرره وبين نص آخر تضمن أفكارا مناقضة فى محاولة من الناسخ لإزالة التناقض أو الخلاف ، وهى محاولة تتم بقليل من المهارة أحيانا أو بكثير من المهارة أحيانا أخرى . وبتدرج انفصال نصوص العهد الجديد عن بقية التراث المسيحى البدائى الشفهى، وبتزايد الاتجاه إلى اعتبار العهد الجديد كتابا مقدسا ازداد تردد النساخ فى إجراء مثل هذه التصحيحات التى كان يقوم بها من سبقهم ، وهكذا اعتقدوا – خطأ – أنهم إنما ينقلون النص الصحيح ، وهم فى حقيقة الأمر قد أضفوا مصداقية كاذبة لتحريفات من سبقوهم من النُّسَّاخ ، وهم أيضا بهذا قد عملوا على بقاء وثبات كثير من الآراء والروايات والنصوص المتعارضة المتناقضة. وفى أحيان أخرى نجد أن الناسخ قد كتب تعليقات أو تفسيرات على هامش النص أو بين قوسين ثم يأتى ناسخ آخر فيكتب الكلام الذى بين القوسين ضمن النص ويزيل القوسين فيضيف كلام الناسخ السابق له إلى كلام النص وهو ليس منه أصلا ، وبهذا يصبح النص أكثر غموضا وخلطا وتشويشا» .

إن القائمين بنسخ النصوص المقدسة قد سمحوا لأنفسهم بحرية واسعة النطاق عند قيامهم بنسخ وتحرير النصوص المقدسة . وهذا هو ما فعله واحد من أشهر النساخ لأشهر النصوص بالعهد الجديد وأكثرها أهمية وإجلالا . والنص المشار إليه هنا هو النص المعروف باعتبار أنه كوديكس بيزاى كانتابريجيانسيس Codex Bezae Cantabrigiensis الذى يرجع إلى القرن السادس الميلادى . لقد لاحظ الشخص الذى قام بكتابة هذا النص دون ريب الفرق الكبير بين سلسلة نسب المسيح فى إنجيل لوقا وإنجيل متّى ، ولما كانت سلسلة نسب المسيح فى إنجيل متّى تحتوى عددا أقل من الأسماء فى سلسلة نسب المسيح ، فلقد قام الناسخ بتضخيمها فى إنجيل متّى بإضافة بعض الأسماء إليها (دون أن يهتم بأى تناقضات تنشأ عن الإضافة التى أضافها) .

ويوجد سؤال مهم هو : هل الترجمات اللاتينية مثل ترجمة الڤولجاتا Volgate التى قام بها القديس إيرنيموس Jerome's التى ترجع إلى القرن السادس الميلادى وكذا الترجمة الإيطالية القديمة Vetus Itala وكذا الترجمات إلى اللغة السريانية وإلى اللغة القبطية أكثر دقة من الأصول اليونانية؟ ربما كانت هذه الترجمات قد كتبت بالاعتماد على مخطوطات أكثر قدما مما نعرف وهى غير موجودة لدينا فى عصرنا هذا . ولا أحد يعرف الحقيقة فى هذا الصدد .

لقد نجح علماء الكتاب المقدس فى عمل تصنيفات لمجموع هذه النصوص، وكل مجموعة ذات تصنيف معين تمتاز ببعض الصفات المشتركة ، ومن هذا القبيل التصنيف الذى وضعه

أ . كولمان ، وهو كما يلى :

– نَصٌ أسماه النص السورى Syrian text كان من الممكن أن يفضى إلى أقدم المخطوطات اليونانية . ولقد انتشر هذا النص السورى انتشارا واسع النطاق فى أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر الميلادى بفضل ظهور واستخدام آلات الطباعة ، وهو أسوأ النصوص فى رأى المتخصصين .

– نَصٌ أسماه النص الغربى Western text باللغة اللاتينية القديمة يطلق عليه Codex Bezae Cantabrigiensis وهو مكتوب باللغة اليونانية القديمة وأيضا باللغة اللاتينية القديمة . وتصف الترجمة المسكونية هذا النص بأنه يستطرد كثيرا فى محاولات التعليل والتوفيق مع عدم الالتزام بتوخى الدقة مع كثير من الاستطراد .

نَصٌ أسماه النص المحايد Neutral text كما يتمثل فى الكوديكس فاتيكانوس Codex Vaticanus وأيضا الكودكس سينايتيكوس Codex Sinaiticus ويعتبر أكثر نقاء ، وهو النص الذى تعتمد عليه اليوم طبعات العهد الجديد على الرغم من أنه هو أيضا تشوبه بعض العيوب (من وجهة نظر الترجمة المسكونية للعهد الجديد) .

إن كل ما تستطيع أبحاث نقد النصوص أن تقدمه لنا هو محاولة إعادة بناء نصوص العهد الجديد للوصول إلى نَصٌ يتمتع بأكبر الفرص الممكنة للاقتراب من النص الأصلى . «وعلى كل حال فلا مجال مطلقا للأمل فى الوصول إلى النص الأصلى نفسه!» على حد تعبير الترجمة المسكونية للعهد الجديد .

الأناجيل والعلم الحديث

«شجرة نسَبِ المسيح مختلفة في الأناجيل»

The Cospels & Modern Science

(The Cenealogies of Jesus)

تحتوى الأناجيل على فقرات قليلة جدا تفتح الباب للتعارض مع المعارف العلمية الحديثة .

وتوجد – على كل حال أولا وقبل كل شيء – روايات وحكايات بالأناجيل تتصل بمعجزات وخوارق[١] لا تكاد تتسق مع التمحيص العلمى . إنها معجزات وخوارق متعلقة ببعض الناس – مثل شفاء المرضى (مرضى العقول ، والعميان ، والمصابين بالشلل ، وإحياء العازر بعد موته) . وتتعلق معجزات وخوارق أخرى بحواف القوانين الطبيعية (كمشى المسيح على الماء فى البحر تحمله صفحة الماء كما لو كان يمشى على اليابس وتحويل المسيح الماء القراح إلى خمر معتقة أجود ما تكون الخمر المعتقة . ويجوز أن تكون المعجزة ظاهرة طبيعية غير عادية تحدث فى لحظة معينة استثناء من قوانين الطبيعة فى زمن قصير جدا مثل سكون العاصفة الفجائى ، أو جفاف شجرة التين وتحولها من الاخضرار إلى حالة الجفاف التام ، أو ذلك الصيد الذى تم بطريقة إعجازية من مكان بالبحر سبق أن تأكد الصيادون من عدم وجود أسماك فيه الذى بدا كما لو كانت كل أسماك البحر قد تجمعت فى شباك الصيادين فى لحظة قصيرة من الزمان .

فى هذه الأحداث يتدخل الله بقدرته . ولا ينبغى أن يدهش المرء مما يقدر الله على فعله ليبدو للإنسان كمعجزات . المعجزات غير معجزات بالنسبة لقدرة الله. ولكن هذه الاعتبارات لا تعنى بأى حال أن على المؤمن أن ينبذ تماما كل قوانين وشئون العلم بحيث لا يكون لها اعتبار فى حياته . إن الإيمان بإمكانية المعجزة[٢] والإيمان بحقائق العلم أمران غير متعارضين بل هما فى حقيقة

---

(١) لاجدال من وجهة نظرنا فى أن الله سبحانه وتعالى بقدرته قد أجرى معجزات معينة على أيدى بعض أنبيائه ورسله ليؤمن قوم كل نبى أو رسول بصدق نبوته ورسالته . ومن الخطأ عدم فهم المقصود من المعجزة كما أشرنا إليه . وليس معنى المعجزة بأية حال إثبات قدرة للنبى بل هى بقدرة الله وبإرادته. وليس معنى أن المسيح عليه السلام قد أبرأ أحد العميان أنه كان يمتلك القدرة على إبراء وشفاء كل العميان . وليس معنى أن المسيح عليه السلام قد أحيا العازر بعد موته أن المسيح كان يستطيع أن يحيى أى إنسان آخر بعد موته . (المترجم) .

(٢) من الجدير بالذكر أن معجزات الأنبياء ورسل الله المعروفة قد أشار إليها القرآن الكريم على نحو دقيق . وقد ذكر القرآن الكريم معجزات للمسيح لم تذكرها الأناجيل مثل كلام المسيح عليه السلام فى المهد ، كيف تذكر الأناجيل معجزة المسيح هذه وكانت كلمات المسيح فى المهد أنه «عبد الله» ويعتبره أصحاب الأناجيل إلها؟ محال أن تذكر الأناجيل مثل هذه المعجزة . وعلى كل حال نجد أن معجزة أى نبى أو رسول من أنبياء الله ورسله إنما كانت لمجرد أن يؤمن «قومه» أنه نبى رسول حقا وصدقا وليس دعىّ نبوة . ولم يعتمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم على المعجزات الحسية فى إثبات صدق نبوته ورسالته وإنما اعتمد على معجزة القرآن الكريم ، المعجزات الحسية قد تدهش من شاهدها والمعجزات الحسية لم تكف لإقناع الناس . وينقضى أثر المعجزة بانقراض من شاهدوها ويظل القرآن الكريم معجزة خالدة تضمنت كل المعجزات . (المترجم) .

الأمر أمران متفقان متسقان . المعجزات إنما هى على مستوى إلهى وحقائق العلم إنما هى على مستوى إنسانى .

إننى شخصيا أعتقد وأومن عن طيب خاطر أن المسيح قد استطاع (بقدرة الله) أن يشفى شخصا مصابا بالبرص ، ولكننى لا أستطيع أن أقبل الادعاء بصحة وحى الله فى نص بالإنجيل أقرأ فيه أن عشرين جيلا فقط قد عاشت بين أول إنسان (سيدنا آدم) وسيدنا إبراهيم كما يقول بذلك إنجيل لوقا[١] بالأصحاح الثالث : ٢٣ – ٢٨ . وسنرى بعد قليل الأسباب التى تقرر أن هذا النص فى إنجيل لوقا مثله فى ذلك مثل النصّ الموجود بهذا المعنى فى التوراة (العهد القديم) لم يصدر عن الله ، ولم يوح به الله إلى أحد ، بل صدر هذا النص عن مجرد خيال إنسان من البشر .

إن الأناجيل (شأنها فى ذلك [٢] شأن القرآن) تعطينا نفس المعلومات عن الأصول البيولوچية للمسيح . إن نموّ المسيح فى رَحِمِ أُمّه قد حدث على نحو مغاير لقوانين الطبيعة العامة التى تشمل كل البشر . إن البويضة التى حواها مُبيَضُ أمه لم تحتج إلى الالتقاء بحيوان مَنَوِىٍّ آتٍ من صلب رجل هو أبوه ليشكل جنينا ثم طفلا قابلا للوجود فى الحياة ككائن بشرى حى ولدته أمه على نحو طبيعى . إن الظاهرة التى تؤدى إلى ميلاد كائن بشرى حى دون تدَخُّل العنصر المخصب للذكر تسمى ظاهرة التلقيح الذاتى Parthenogenesis ومن الممكن دراسة وملاحظة ظاهرة التلقيح الذاتى هذه فى عالم الحيوانات تحت ظروف معينة . كما يمكن ملاحظة هذه الظاهرة فى حالات بعض الحشرات وبعض اللافقريات وبعض أنواع الطيور بشكل استثنائى نادر الوجود . ولقد أمكن بالتجربة العلمية بالنسبة إلى بعض الثدييات مثل أنثى الأرنب الحصول على بداية تطور البويضة إلى حالة جنينية[٣] فى مرحلة أولية جدا . ولكن الذهاب إلى أبعد من هذا لا يزال مجهولا غير معروف . لم تكتمل حتى الآن تجربة علمية مضبوطة لعملية تلقيح ذاتى مكتمل التطور عند الثدييات . أما المسيح فهو حالة خاصة . كانت أمه مريم عذراء . وقد احتفظت بعذريتها . ولم تلد أطفالاً غير[٤] المسيح . إن المسيح استثناء بيولوچى .

---

(١) يبدأ النص المشار إليه فى إنجيل لوقا كما يلى : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى ... إلخ» ويمضى النص فى سرد نسب المسيح بحيث يجعل بين سيدنا إبراهيم وسيدنا آدم عشرين جيلا فقط كما أحصاها المؤلف الدكتور موريس بوكاى .ويلاحظ المترجم أن عبارة «على ماكان يظن » التى وردت بصدر هذا النص تفيد أن الكلام كلام إنسان من البشر وليس بالقطع كلام الله ، إن الله لا يقول قولا «على سبيل الظن أبدا» . إن هذا لا يتسق مع كمال الله . انظر إنجيل لوقا ٣ :٢٣–٢٨) – (المترجم) .

(٢) يسجل المترجم تحفظه بشأن هذه العبارة الاعتراضية المشار إليها إذا إن نظرة القرآن ونصوصه بشأن المسيح تختلف عن تلك التى تقدمها لنا الأناجيل . أما إذا كان المقصود هو نفى القرآن أن يكون المسيح ابن زنا كما يقول اليهود ، ونفى الأناجيل أيضا هذه التهمة عن المسيح فإن عبارة المؤلف تكون مقبولة فى هذه النقطة فقط لاغير . (المترجم) .

(٣) ثم أمكن عمل نسخ من النعجة دوللى– ولكنه ليس خلقاً من عدم . (المترجم) .

(٤) يورد المؤلف ملاحظة الهامش السفلى تفيد أن بعض الأناجيل تذكر أنه كان للمسيح إخوة ، ولكن المؤلف لا يوافق على ذلك ويقول إن هذه ترجمة خاطئة لكلمتين يونانيتين هما adelphoi , adelphia وهما فى نظره تعنيان علاقة قرابة كأولاد العمومة أو الخولة ولاتعنيان الأخوة بالمعنى البيولوجى . (المترجم) .

خطَا نسَب المسيح

The Genealogies of Jesus

هنالك خطان لنَسَب المسيح يحتوى عليهما إنجيل متّى وإنجيل لوقا ويسببان تناقضا وتعارضا مع معطيات[١] العلم الحديثة ، ويسببان من ثَمّ بعض المشاكل التى تتعلق بمصداقية الكلام الذى يُفْترض أنه كلام الله . إن هذه المشاكل تسبب كثيرا من الحيرة والارتباك لدى علماء الكتاب المقدس الذين يرفضون أن يوافقوا على أن الكلام المتضمن لهذا التناقض إنما هو كلام بشر وليس كلام الله . لقد ألهم الخيال البشرى – وليس الله – بعض أولئك الذين صاغوا سفر التكوين من رجال الكهنوت اليهودى فيما يتعلق بالنسل الأول للبشر ، وهو هو ذات الخيال البشرى – وليس الله – هو الذى جعل متّى ولوقا يصوغاً ما لم يقتبساه من التوراة أو العهد القديم .

ويلاحظ بادئ ذى بدء أن هاتين السلسلتين من النسب من جهة الرجال إنما هو معدوم المعنى وغير معقول أصلا فيما يتعلق بشأن المسيح على وجه التحديد . ولو كان من الضرورى أن يحاول أحد البحث عن نسب للمسيح وهو وحيد أمه مريم العذراء ، ولدته دون أب ، فمن الضرورى أن يكون هذا النسب من جهة أمه مريم فقط لا غير[٢] .

وفيما يلى سلسلة نسب المسيح كما وردت فى إنجيل متّى وكما أوردتها الترجمة المسكونية للعهد الحديد .

---

(١) فى مسألة مثل مسألة تحديد نسب شخص من الأشخاص لا مجال للخلاف فى ذلك ، خصوصا عندما يكون الله هو الذى أوحى الكلام المحدد لنسب هذا الشخص .ووجود تعارض أو تناقض يدل دلالة قاطعة حاسمة على أن مثل هذا الكلام يستحيل أن يكون كلام الله بحق كما يزعم ذلك بعض الناس . (المترجم) .

(٢) إذا كان المسيح عليه السلام قد ولدته أمه بغير أب ، هذه هى حقيقة الأمر من وجهة النظر الإسلامية ، فلا معنى ولا معقولية أن يبحث له أحد عن شجرة نسب تحدد الأب والأجداد الذين انحدر من صلبهم المسيح الذى ولد بغير أب . (المترجم) .

obeikandl.com

سلسلة نسب المسيح بن داود بن إبراهيم
كما وردت في بداية إنجيل متّى

إبراهيم ولد إسحاق
وإسحاق ولد يعقوب
ويعقوب ولد يهوذا وإخوته
ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار
وفارص ولد حصرون
وحصرون ولد آرام
وآرام ولد عمينا داب
وعمينا داب ولد نحشون
ونحشون ولد سلمون
وسلمون ولد بوعز من راحاب
وبوعز ولد عوبيد من راعوث
وعوبيد ولد يسى
ويسى ولد داود الملك
وداود الملك ولد سليمان مِن النبيِ لاوريا
وسليمان ولد رحبعام
ورحبعام ولد أبيا
وأبيا ولد أسا
وأسا ولد يهوشافاط
ويهوشافاط ولد يورام
ويورام ولد عزيا
وعزيا ولد يوتام
ويوتام ولد أجاز
وأجاز ولد حزقيا
وحزقيا ولد منسى
ومنسى ولد أمون
وأمون ولد يوشيا
ويوشيا ولد يكنيا وإخوته
وكان النفى إلى بابل
بعد النفى ببابل :
يكنيا ولد شألتيئيل
وشألتيئيل ولد زربابل
وزربابل ولد ابيهود
وإبيهود ولد الياقيم
والياقيم ولد عازور
وعازور ولد صادوق
وصادوق ولد اخيم
وأخيم ولد اليهود
واليهود ولد العازار
والعازار ولد متان
ومتان ولد يعقوب
ويعقبوب ولد يوسف
رجل مريم التي ولد منها
عيسى الذى يدعى المسيح

وعلى ذلك يكون عدد الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا .

وعدد الأجيال من داود إلى السبى البابلى هو أربعة عشر جيلا . ومن السبى البابلى حتى مجيء المسيح أربعة عشر جيلا .

obeikandl.com

سلسلة نسب المسيح

حسب إنجيل لوقا (٣:٢٣-٢٨)

يعطى لوقا للمسيح سلسلة نسب تختلف عن تلك التى أعطاها مَتّى للمسيح، وها هى ذى سلسلة نسب المسيح وفقا لرواية إنجيل لوقا (٣:٢٣–٢٨) حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد:

وتسهل المقارنة بين هاتين السلسلتين لنسب المسيح لو وضعناهما فى جدولين ، قبل داود وبعد داود .

نسب المسيح ، قبل داود

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
متى لا يذكر أى اسم قبل إبراهيم	١ آدم ٢ شيث ٣ أندش ٤ قينان ٥ مهلئيل ٦ يارد ٧ أخنوخ ٨ متوشالح ٩ لامك ١٠ نوح ١١ سام ١٢ أرفكشاد ١٣ كاينان ١٤ شالح ١٥ عابر ١٦ فالج ١٧ راعو ١٨ سروح

obeikandl.com

حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
	١٩ ناحور
	٢٠ تارح
١ إبراهيم	٢١ إبراهيم
٢ إسحق	٢٢ إسحق
٣ يعقوب	٢٣ يعقوب
٤ يهوذا	٢٤ يهوذا
٥ فارص	٢٥ فارص
٦ حصرون	٢٦ حصرون
٧ آرام	٢٧ عرنى
	٢٨ أدمنى
٨ عمينا داب	٢٩ عمينا داب
٩ نعشون	٣٠ نحشون
١٠ سليمان	٣١ شالح
١١ بوعز	٣٢ بوعز
١٢ عبيد	٣٣ عوبيد
١٣ يسى	٣٤ يسى
١٤ داود	٣٥ داود

نسب المسيح بعد داود

حسب إنجيل متى

١٥ سليمان	٢٤ حزقيا	٣٣ عازور
١٦ رحبعام	٢٥ منسى	٣٤ صادوق
١٧ أبيا	٢٦ أمون	٣٥ أكيم
١٨ أسا	٢٧ يوشيا	٣٦ اليهود
١٩ يوشافاط	٢٨ يكنيا	٣٧ ألعازار
٢٠ يورام	النفى إلى بابل	٣٨ متان
٢١ عزيا	٢٩ شالتئيل	٣٩ يعقوب
٢٢ يوتام	٣٠ زربابل	٤٠ يوسف
٢٣ أجاز	٣١ أبيهود	٤١ عيسى
	٣٢ أليا قيم	

obeikandl.com

نسب المسيح بعد داود

حسب إنجيل لوقا

٣٦ ناتان	٤٧ يوريوم	٥٨ ريسا	٦٨ عاموس
٣٧ متاتا	٤٨ عازر	٥٩ يوحنا	٦٩ متتيا
٣٨ منا	٤٩ بوسى	٦٠ يهوذا	٧٠ يوسف
٣٩ مليا	٥٠ عير	٦١ يوسف	٧١ ينا
٤٠ ألياقيم	٥١ المودام	٦٢ شمعى	٧٢ ملكى
٤١ يونان	٥٢ قوسام	٦٣ متتبا	٧٣ لاوى
٤٢ يوسف	٥٣ آدى	٦٤ مآت	٧٤ متات
٤٣ يهوذا	٥٤ ملكى	٦٥ نجاى	٧٥ عالى
٤٤ شمعون	٥٥ نيرى	٦٦ حسلى	٧٦ يوسف
٤٥ لاوى	٥٦ شالتئيل	٦٧ ناحوم	٧٧ عيسى
٤٦ متات	٥٧ زربابل		

الفروق بين المخطوطات والتباين مع التوراة

Variations in the Manuscripts and in Relation to the Old Testament

لو ضربنا صفحا عن الأخطاء فى تهجى الأسماء والألفاظ فمن الضرورى أن نذكر ونشير إلى الملاحظات الآتية :

(أ) إنجيل مَتّى

لقد تم حذف سلسلة نسب المسيح من نص إنجيل مَتّى المسمى باسم كودكس بزاى كانتابريجينيزس Codex Bezae Cantabrigiensis وهى مخطوطة هامة جدا ترجع إلى القرن السادس الميلادى ، وهى مزدوجة اللغة (مكتوبة باللغة اليونانية وباللغة اللاتينية) . ولقد اختفت سلسلة نسب المسيح من النص اليونانى فى هذه الوثيقة تماما ، واختفت غالبية الأسماء من سلسلة نسب المسيح من النص اللاتينى وربما كان مرجع ذلك إلى ضياع الصفحات الأولى. ولابد من الإشارة إلى أن متّى قد اقتبس من التوراة فى هذا الصدد بتصرف كبير، وقد حذف قدرا كبيرا من الأسماء بافتراض أنه قد قام بمراجعة حسابية لم يعط عنها أية إيضاحات .